

روائع المسح العالمي

٢٣

بيت فرارا ألبا
مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف
فيدريكو غروسيه لوركا
ترجمة
الدكتور محمود عاى مكي
مراجعة
الدكتور حسين مونس
تقديم
الدكتور طهي عبدالبريدى

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة ودرشاد القومى
إدارة العامة للثقافة

مقدمة

بمعلم
الكتور لطيفي عبدالبريع

غرسية لوركا (١٨٩٨ - ١٩٣٦) شاعر أندلسي جعل من الشعر الغنائي والمسرح توأمين ؛ فسرحه شعر دراى ردد فيه أصداء الغنائية التي خلق منها عالماً مسرحياً متبايناً بشخصياته وصراعه .

على أن الطابع الشعري لمسرحياته لا يتمثل في القيمة الغنائية لشعره ، أو في المقطوعات الشعرية الواردة فيها بل يتمثل قبل كل شيء في الجوهر الدراى ذاته وفي الحياة المخلوقة بأبعادها الخيالية .

وفي مسرحه أشكال ثلاثة . أحدها : ما كان من وحى رومانتيكى تغشاه روح غنائية خزينة ويولى فيه وجهه شطر الماضي ، وثانيها : ما يجرى مجرى المهازل (Las farsas) بما فيها من انطلاق و متعة وهوى وسخرية تحيط بانفعال

غنائى مقنع ، وثالثها : الدراما فى موضوعها الشعبى الذى يتأق فى الشاعر عن الحقيقة ويتوخى الخيال ، ومن ذلك مسرحية عرس الدم ومسرحية العقيم ثم مسرحية بيت برناردا ألبا التى نقدها اليوم إلى قراء العربية .

وقد أدار لوركا المسرحية على شخصية نسائية هى برناردا ، وركز عليها الأضواء بحيث توارى غيرها فى الظلام ، وبرنادا لا تتميز عن بناتها بمجرد وجودها وامتداد كيانها . بل بأنها شخصية سيكلوجية مسرحية وهذا ما لم يتأت لبناتها فهن من الداخل سواسية لا يختلفن إلا فى التفاصيل الخارجية وذواتهن تكاد تقوم على الغريزة الجنسية فى صورتها الساذجة البدائية . لا الغريزة التى يفسرها ويحياها سائر الناس بأبعادهم الميتافيزيقية والسيكولوجية ممن تفردت أشخاصهم ودلت أسماؤهم على مسميات إنسانية متكاملة ، فأرواح هؤلاء النسوة قد فنيت فى أجسادهن بحيث يعد فى المسرحية حديث إلا عن هذه الأجساد حتى لقد قالت أديلا : أنا أفعل بجسدى ما يحلو لى .

وجسد الرجل عندهن ليس حقيقة تعبيرية تتجلى

فيها كلية الرجولة بل مجرد جسد محسوس يمكن أن يشابه غيره ويوازيه .

ولعل خير ما توصف به بنات برناردا الخمس أنهن تجريدات شعرية وكائنات عامة تبلغ مبلغ الرمزية . فقد مثلن في المأساة الغرائز المغلوبة على أمرها من الخارج والقهر الذي فرضته عليهن وعلى من معهن قوة خارجية لا سبيل إلى دفعها .

أما برناردا ألبا فلا يتأقن الوقوف عليهما من جانب الغريزة الجنسية ولا من ناحية ما يتصل باللاوعي ، والطريق إليها لا يبدأ من روحها بل يمضي إليها من الحقيقة الاجتماعية والخلقية التي تكتنفها ، ذلك أن الشاعر رأها من الخارج وقد صنعها عالم خارجي باعتبارها ثمرة اوقف اجتماعي وخلق معين وتلك سمة تشترك فيها أعمال درامية أخرى بلخارثيا لوركا ثم طاب له أن يجرد الشخصية ويقتصرها على مظاهر التفاعلية لا في الواقع الحي ولكن في الواقع الشعري للدراما وعلى هذا النحو لم تعد بيت برناردا ألبا وثيقة أو سجلا لحقيقة تاريخية في إسبانيا .

وبطولة برناردا ألبا بطولة سلبية تتم في مجال الأمومة
غير أنها مضادة لغريزتها ؛ نعم إن برناردا تضحي ببناتها
في سبيل أخلاق لم تصنعها ولكنها أخلاق تؤمن بها وتشارك
فيها باعتبارها قوامة عليها ومن ضحاياها .

وأخلاق أهل القرية التي تعيش فيها برناردا ليست
ساذجة بل هي أخلاق عقلية إن صح هذا التعبير . قد صنعت
من أفكار سلبية وحدود وقيود . وإذا كانت المسيحية
تُخَلِّف وراءها عبقا من الرحمة والغفران فإنها تتركه من
ورائها أيضاً نفوساً معذبة في هجير الآلام ، وفي قرية
برناردا ألبا كنيسة واكليروس . ففيها قس يرتل الأناشيد
صباح مساء . ولعله الرجل الوحيد الذي تقع عليه أعين
النساء لأنه يرتدى عباءة ، ثم فيها أيضاً عبادة وشعائر دينية
ولكن لا شيء من هذا كله يشفي غليل النفوس التي تتطلع
إلى الحب . فتصاوي ما يؤدي إليه التآيز بين الناس أن تقاس
المرتبة الاجتماعية للمرء بكمية التعازي التي يتلقاها في جنازاته
وعدد النساء المجللات بالسواد .

ولقد كان من مظاهر الانتصار والرفعة لبرناردا أن

تشهد القرية كلها جنازة زوجها . وإذا كانت الألسنة تناول
برناردا بالذم لقسوتها فإن هذه القسوة لا يبرأ منها أحد ممن
يعيونها فالشفقة في ذلك العالم شريعة لا يجرى أحد على
مقتضاها وإنما تتخذ سبيلا للحكم على الآخرين .

وكل ما يهم المرء هو الكينونة ، أو بعبارة أدق الكينونة
المتفوقة على غيرها ، غير أن هذا الاهتمام قاصر على طبقة
معينة هي التي تعرف بعلية التوم ، أما الطبقة الأخرى من
العمال والفقراء الذين احترقوا الاستجداء فهي مبعدة عن
هذا المجال ، هم كما تقول برناردا من طينة أخرى .

ويمكن تحقيق الكينونة المتفوقة من طريق الغنى
والشهرة ، وسلوك برناردا ألبا مكتسب من الثراء حتى
صار بيتها حصناً وظيفتها أن تتولى الدفاع عنه :

وإذا كانت برناردا حذرة فما ذلك إلا لأن العشرة بين
الناس لا تقوم على التسامح ولا على الحب بل تقوم على
الحقد والحسد والنميمة ، فالقرية أشبه بمعركة صامتة
كل من فيها عدو للآخر ، وهزيمة المرء في أن يعرف

الآخرون عثرته. ولذلك يتقى الوقوع في الشبهات وإذا وقع فيها أخفاها حتى يحسى نفسه من الألسنة الحداد .

وإذا كان بيت برناردا ألبا مغلقاً للحداد مدة ثمانية أعوام وبيوت القرية كلها مغلقة والنساء محتجيات فإن القرية كلها كالميدان المفتوح تتجسس فيه العيون التي لا تحول دونها جدران أو أسوار إذ لا وجود للحياة الخاصة التي تنجى المرء من التجريح .

وغرسية لوركا لا يروى لنا ماضى برناردا ولا يكشف لنا عن ذاتها الداخلية ، كل ما هناك أنها مخلوقة واقعية تتناول الأشياء كما هي ولا يدور بخلدتها أن الأمور يمكن أن تكون على نحو آخر ؛ وتريد أدبلا التي أوتيت نصيبا من الذكاء أن تسحق العالم الذى يحول دون التعبير الحر عن غريزتها .

وقد كانت نهاية المسرحية هزيمة لعالم برناردا فقد صار بيتها مضغمة في الأفواه .

ولما كان مضمون المسرحية يقوم على التورق فقد
كانت لغتها بصورها الشعرية الحية مرآة للحركة والسرعة
التي يتسم بها تطور الأحداث على نحو جعل المسرحية
قمة من قمم الأدب الإسباني المعاصر .

لطيفة عبد البديع

شخصيات المسيرة

برناردا (٦٠ سنة)

ماريا غوسينا (أم برناردا - ٨٠ سنة)

أنجوستيا (بنت برناردا - ٣٩ سنة)

ماجدا لينا (بنت برناردا - ٣٠ سنة)

أميليا (بنت برناردا - ٢٧ سنة)

مارتيريو (بنت برناردا - ٢٤ سنة)

آديلا (بنت برناردا - ٢٠ سنة)

لابونثيا (خادمة - ٦٠ سنة)

خادمة (٥٠ سنة) برودنثيا (٥٠ سنة)

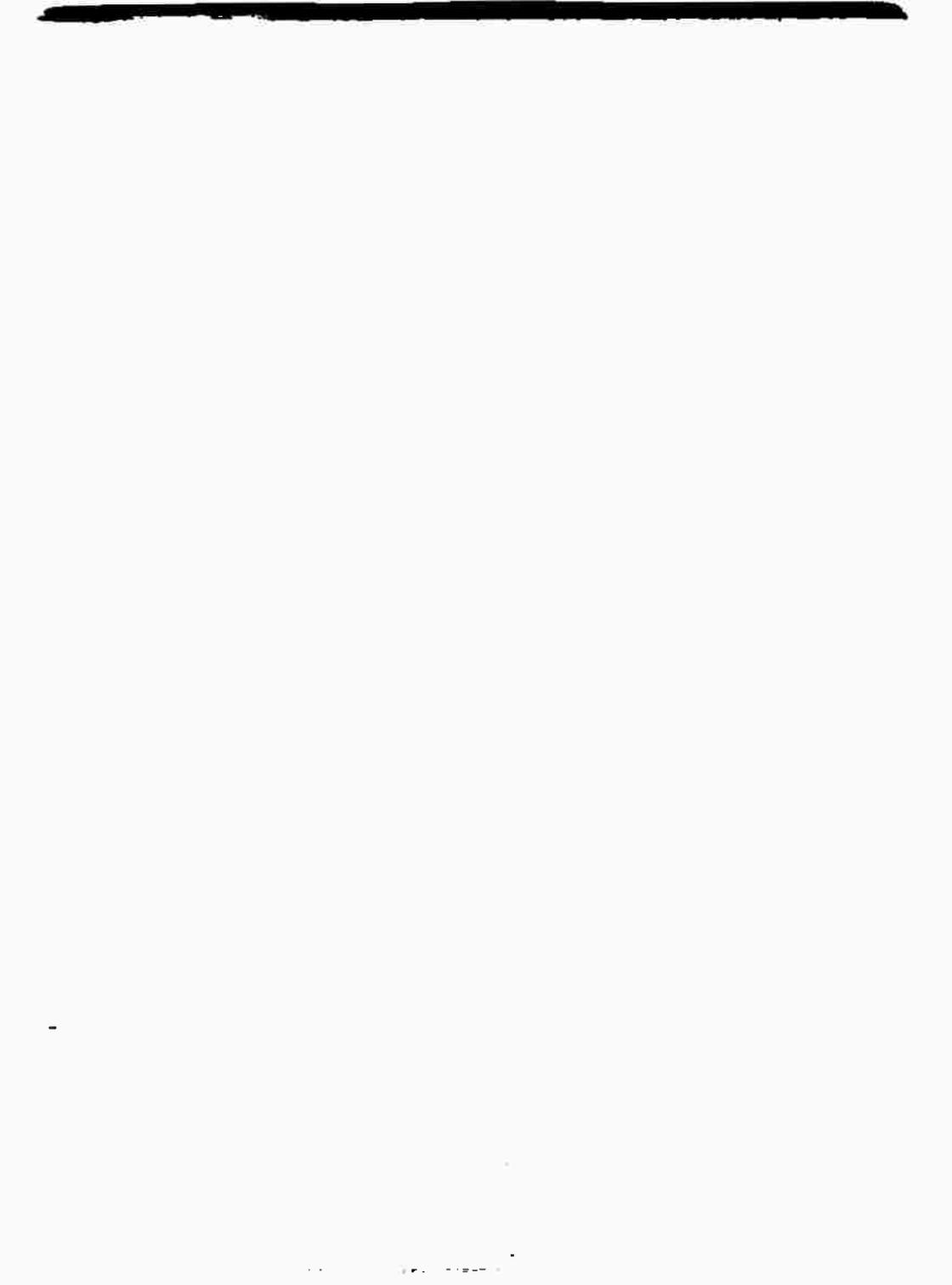
متسولة

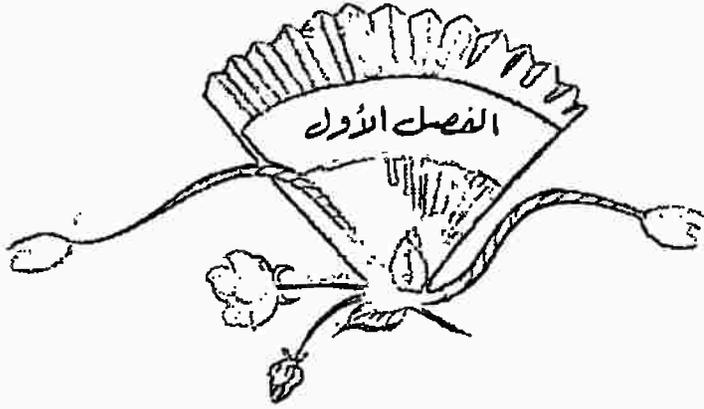
امرأة ١ امرأة ٢ امرأة ٣ امرأة ٤

بنت صغيرة

نساء يرتدين

مدرسة الحمار





[غرفة في داخل بيت برناردا ألبا ، الجدران غليظة وناصعة البياض ،
 للأبواب في هيئة أقراص ، وتندلى من أعلاها ستائر غليظة « مكشكشة » ،
 كرسى من القش ، صور معلقة على الجدران تمثل حوريات وملوكا من وحى
 الأساطير والخرافات ، الجوصائف ، والسكون العميق يخيم على المسرح
 الذى يبدو معتما ، حينما يرفع الستار يكون المسرح غاليا تماما ، تسمع
 دقات أجراس كنيسة من بعيد ، تفرج الخادمة إلى المسرح في ذلك الوقت]

الخادمة : تبأ لهذا الأجراس ، لكأنى أحل
 بين صدغى أضعافا منها مضاعفة .

لابوثيا : [تفرج وفي يديها خبز ونوع من اللحم المقدد
 تقدم منها] - لقد مضى عليهم ساعتان ،
 وهم لا يزالون يرجعون الصلوات والتسابيح

على الميت : لقد قدم عدد كبير من
الرهبان والقسيسين من جميع القرى
المجاورة ، وبدت الكنيسة في أبهى
حلتها ، وقد أدى تكاثر الناس وزحامهم
إلى أن أغشى على ماجدالينا في أثناء
الصلاة الأولى ،

الخادمة : مسكينة .. إنها ستكون أكثرهن انفراداً
وأشدهن ألماً .

لابونثيا : نعم ، فقد كانت أحبهن إلى قلب أبيها ،
آه .. الحمد لله على أننا بقينا بمفردنا هنا
قليلاً ، لقد أتيت لآخذ قسطاً من
الطعام .

الخادمة : آه لو رأتك برفاردا .

لابونثيا : مادامت هي لا تأكل في هذه الأيام
فلعلها تريدنا أن نموت كلنا جوعاً ،
هذه المتحكمة .. المسيطرة ! .. ولكن

فلتمت بغيطها . : فهأنذا قد فتحت

كيسا من أكياس اللحم المقدد .

الخادمة : [فرنة استعطاف وانكار] - ولماذا
لا تعطيني قليلا ؟

لابوثيا : وما يمتلك ؟ ادخلي وخذى لك أيضا

خفنة من الحمص . : فلست أظن أحداً

في مثل هذا اليوم سيفطن إلى ذلك .

[صوت من الداخل يصيح] - برناردا ! . .

لابوثيا : .. العجوز ! أترأك أحكمت إغلاق
الباب عليها ؟

الخادمة : إني أدرت مفتاح القفل عليها مرتين . .

لابوثيا : لقد كان ينبغي أن تعزى ذلك بالتراس

الحشبي . . ألا تعرفين أن لهذه العجوز

أصابع كأنها كلاليب ؟

[صوت من الداخل يصيح مرة أخرى] -

برناردا . .

لابونثيا : [في صوت مرتفع] - هاجى ذى قادمة .

[تتوجه إلى الخادمة وتقول في عجلة] نظفى
كل شيء بعناية : فإن برناردا إذا لم
تر كل شيء يكاد يلمع نظافة ، فإنها لن
تتردد في اقتلاع ما بقي من شعر رأسى .

الخادمة : يا لها من امرأة !

لابونثيا : إنها طاغية تصب قسوتها ويطشها على
كل من يحيط بها . إنها قادرة على أن
تجثم على قلبك سنة كاملة لترى كيف
تموتين ببطء دون أن تفارق شفيتها تلك
الابتسامة الباهتة الباردة التي ترسم على
وجهها الملعون . . نظفى هذا اللوح
الزجاجى . .

الخادمة : لقد تخضبت أصابعى دما من التنظيف
والمسح .

لابونثيا : نعم ، هكذا ينبغي أن نفعل حتى تكون
« هى » أنظف الجميع ، وأطهر الجميع . . ،

بل كذلك وأطول الجميع ! .. لشدما
نعم زوجها المسكين في قبره بالراحة
والطمأنينة ! ..

[تكف أجراس الكنيسة عن الصليل]

- الخادمة : هل حضر جميع أقارب الأسرة ؟
لابونثيا : أقاربها هي .. نعم ، أما أقاربه هو
فإنهم يكونون لها أشد الكراهية ، ولهذا
فإنهم حضروا لإلقاء النظرة الأخيرة على
جثمانه ثم صلبوا عليه ومضوا لشأنهم ..
- الخادمة : هل هناك كراسي كافية للمعزين ؟
لابونثيا : كافية وزيادة ، وإن لم تكف فليجلسوا
على الأرض ، إن الناس لم تدخل تحت
سقف هذا البيت منذ أن توفي أبو ناردا ،
فهى لا تريد لأحد أن يراها متربعة على
عرش ملكها .. صب الله عليها اللعنات !
- الخادمة : على أية حال فهى تعاملك معاملة طيبة .
لابونثيا : نعم .. ثلاثون سنة وأنا أغسل لها ملاءاتها
وثيابها ، ثلاثون سنة وأنا آكل ما يتبقى

من طعامها ، ثلاثون سنة وأنا أقضى
الليل ساهرة إذا ابتلاها الله بالسعال ،
أيام كاملة وأنا أتجسس لها على الجيران
من خلال النوافذ وثقوب الأبواب لكي
أحمل إليها أخبار سكان الحي . . حياة
بلا أسرار ، كلهن يتجسسن بعضهم على
بعض . . ومع ذلك ، لعننا الله ، لشدما
وددت أن يدق في عينها مسماران ! . .

انخدامة : ويحالك ! . .

لابونثيا : ومع ذلك فإنني ما زلت كلبة أمينة ،
أعوى حينما تأمرني أن أفعل ، وأعض
لها أعقاب الذين يجروون على سوءالمأ
صدقة إذا هي هيجتني إلى ذلك ، إن
لى ولدين يشتغلان في أرضها ، وقد
تزوجا بحمد الله ، ولكن . . ستأتي
الساعة التي لا أحتمل فيها المزيد . .

انخدامة : وحينئذ . . ؟

لابونثيا : وحينئذ سأحبسها في غرفة وأظل أبصق

في وجهها عاما كاملا . « برناردا ، هذه
من أجل كذا ، وتلك من أجل كذا » ،
وهكذا حتى تصبح بين يدي كسحلية
رجمتها أيدي الصبيان ، والله ما تزيد هي
ولا سائر أهلها عن فصيلة السحالي .
وما كنت - والله يشهد - لأحسدها
على ما تملك ؛ فقد وهبها الله خمس بنات
دميات وفقيرات إذا استثنينا كبراهن
« أنجوستياس » ابنتها من زوجها الأول
التي لها قدر من ثروة ورثتها عن أبيها .
أما الأخريات فقمصان من رفيع الثياب
وملابس كثيرة الزركشة والتطريز . . ثم
لا ميراث إلا كسرة من الخبز وعنقود
من العنب .

الخادمة : ومع ذلك فليت لي مثل ميراثهن . .
لابوثيا : إننا نحن تكفيننا أيدينا التي وهبنا الله إياها
ثم حفرة تستقر فيها أجسادنا في أرض
الحقيقة . .

الخادمة : نعم ... الأرض الوحيدة التي تركت
لأمثالنا ممن لا يملكون من الدنيا شيئا .

لابونيا : هذا اللوح الزجاجي ما زالت فيه
بعض البقع .

الخادمة : إننى لم أتمكن من إزالتها بالصابون
ولا بأقصى ما استطعت من مسح .

[تسمع دقات أجراس الكنيسة]

لابونيا : ميعاد الصلاة الأخيرة ، سأذهب للإنصات
إليها ، فإنه يعجبني ترتيل هذا القسيس ،
لقد استمعت إليه وهو يرتل صلاة
« أبانا الذى فى السماء » ، فإنا كان أشبه
صوته بإبريق يُصَبُّ فيه الماء ليملأه
قليلا قليلا ، ثم ختم الترتيل بنبرة عالية
مفاجئة كان الاستماع إليها نعمة من نعم
الله ، ومع ذلك فلست أظن قسيما أجهر
صوتا من « ترونتشاينوس » مساعد
القسيس السابق ، وإنى أذكر أنه قام
بالترتيل فى جنازة أمى رحمها الله ،

فكادت الجدران ترتج من توقيعه ،
وحيثما كان صوته يرتفع بكلمة « آمين »
كان المستمعون يكادون يظنون أنه عواء
ذئب اقتحم الكنيسة [ثم ترفع صوتها مقلدة]
آمي ن [تنهاها نوبة من السعال]

الخادمة : كفى كفى ... لقد أوشكت أن تهيل
حنجرتك إلى تراب ..

لابونثيا : شيء آخر .. هو الذي كنت أود أن
أحيله إلى تراب [تخرج ضاحكة]

[تستمر الخادمة في التنظيف . تسمع دقات الأجراس
من جديد]

الخادمة : [مرافقة بدفنتها صوت الأجراس] - تن ..
تن .. تن .. تن .. تن .. تن : شمله
الله برحمته الواسعة ..

[تظهر بالباب متمولة معها طفلة صغيرة]

المسولة : لله الحمد ! . .

الخادمة : [مستمرة في الدفنة] - تن .. تن .. تن :
مد الله في عمرنا جميعا .. تن : تن .. تن

- المتسولة : [رافعة سررتها] - لله الحمد ! ..
- الخادمة : [مهتاحة] - أنت مرة أخرى ؟
- المتسولة : أنا قادمة من أجل البقايا ..
- [تكف الأجراس عن الصليل]
- الخادمة : اسمعى .. من هذا الباب الطريق إلى الشارع .. أما البقايا فلإنها اليوم لى أنا ..
- المتسولة : إننا أحوج إليها منك .. فأنا وابنتى وحيديتان فى هذا العالم .
- الخادمة : إن الكلاب أيضاً وحيدة ومع هذا فهى تعيش ..
- المتسولة : لقد كنتم دائماً تعطوننى الفضلات ..
- الخادمة : لى الخارج .. من الذى قال لكما أن تدخلا ؟ لقد تركتما آثار أقدامكما على أرض المدخل التى كلفنى تنظيفها كبير العناء . [المتسولة وطفلها تفرجان ، وتمود الخادمة إلى تنظيف موقع أقدامهما] .. أرض من الخشب تلمع بالزيت حتى تصبح كالمرآة ، وكوى فى الجدران نظيفة بيضاء ، وأسرة من ..

الصلب ! .. أما نحن فلتتجرع المرفى
أكواخ مبنية من الطين وبيوت ليس فيها
من أناث إلا طبق ومعلقة ، ليتنا نموت
جميعاً حتى لا يبقى أحد يحدث بعدنا بمثل
هذا الحديث [تعود الأجراس إلى الصليل] ..
نعم .. نعم .. ليزدد الصياح والعويل ..
وليحمل المشيعون تابوته المذهب على
أكتافهم ، ففي مثل هذا اليوم يستوى
الجميع .. أنا وأنت يا « أنتونيو ماريا
بينافيدس » تجرع غصة الموت اليوم أيها
السيد الأنيق بعد أن كنت تختال منتصبا
في حلة من الصوف الجيد وفي حذاء
طويل فاخر .. تجرع غصة الموت .. فلن
تعود بعد اليوم إلى رفع قميصي عن جسدي
وراء خطيرة خيولك ! ..

[في هذه اللحظة يدخل عدد من النساء المزيئات
وهن في ثياب الحداد السود من أعماق المسرح
اثنتين اثنتين ، وفي أيديهن مناديل كبيرة ومرامح

سوداء ، ولا يزلن يتقاطرن ببطء حتى يمتلئ بهن المسرح . الخادمة لا تراهن حتى يرتفع صوتها بالبكاء والنحيب [آه يا سيدى « أنتونيو ماريا بينثافيدس » ! .. أهكذا يقضى عليك بالأ ترى جدران هذا البيت مرة أخرى ؟ أهكذا يقدر ألا تأكل من خبز هذا المنزل .. أأشهد أنا ذلك وأنا التى كنت أكثر من خدم فى هذا البيت جبا لك وتعلقا بك ؟ [تشد شعرها فى حزن وأم مصطنعين] أترانى سأعيش بعد أن واروك فى التراب ؟ .. أترانى سأعيش يارباه ؟ [يكمل دخول مائى امرأة إلى البيت ، ثم تظهر بالباب برناردا وبناتها الخمس] .

برناردا : [متوجهة إلى الخادمة] - هس !
الخادمة : [مواصلة البكاء ، فى لهفة] - برناردا !
برناردا : قليلا من الصباح ، ومزيداً من العمل ، لقد كان أولى بك أن تنظنى كل هذا حتى نتقبل عزاء الناس .. اذهبي ، فليس هذا مكانك . [الخادمة

تذهب باكية] . إن هؤلاء الفقراء مثل
الحيوانات ، وهم يبذون كما لو أن الله
خالقهم من طينة أخرى .

امرأة ١ : ولكن الفقراء أيضا يحسون بالألم والجزع .
برناردا : نعم ، ولكن سرعان ما ينسونها أمام
طبق من الحمص .

بنت : [في امتحان] - ولكن أليس الطعام
ضروريا للحياة ؟

برناردا : [بحدة] - في مثل سنك لا ينبغي لك
الحديث أمام الكبار .

امرأة ١ : اسكتي يا بنت .
برناردا : لست أريد لأحد أن يلقنني درساً ، ولم

أسمح بمثل ذلك قط . [متوجهة إلى النساء]
اجلسن [يجلس النساء ، ثم تعقب ذلك فترة
صمت طويلة] . . ماجدالينا . . كفى عن
البكاء ، وإذا أردت أن تفعل فلتختبئي
تحت سرير ، هل سمعتي ؟

امرأة ٢ : [إك برناردا] - هل بدأتم العمل في فلاحه الأرض ؟

برناردا : أمس

امرأة ٣ : إن أشعة الشمس تسقط على الأرض كأنها رصاص يغلى .

امرأة ١ : منذ عدة سنين لم نر مثل هذا الحر الشديد .

[فترة صمت ، تتحرك مراوح السيدات في أيديهن] .

برناردا : [إل الداخلة] - هل أعد شراب الليمون ؟

لابونثيا : نعم [تفرح وفي يديها صينية كبيرة ملكت بأكواب من الليمون توزعها على الحاضرات] .

برناردا : مررى أيضا على الرجال .

لابونثيا : هم يتناولون شرابهم الآن في الفناء .

برناردا : حينما يخرجون ليخرجوا من حيث

دخلوا ، فليست أريد أن يمرؤا من هنا .

بنت : [إل أنجوستياس] - بيبي إك رومانو كان

بين المعزين ؟

أنجوستياس : نعم ، كان هناك .

برناردا : [في حدة] لقد كانت هناك أمه ، وهي
لم تر إلا أمه بين المعزيات ، أما هو
فإنها لم تشاهده هي ولا أنا . .

البت : لقد بدا لي . .

برناردا : [تقاطعها] - الذي كان هناك ورأيناه
جميعاً ذلك المعجوز الأرملة داراخلى
فقد شهدناه قريباً جداً من عنك . . كلنا
رأينا ذلك !

امرأة ٢ : [على حدة . في صوت خفيض حافل بالنيظ] -
لسان كأنه خنجر ! . .

امرأة ٣ : [مرددة] - لسان كأنه خنجر ! . .

برناردا : إنى لأعجب لهؤلاء النسوة اللاتي يدرن
روؤوسهن في الكنيسة لرؤية هذا وذاك ،
ألا يعلمن أنه ليس لمن أن ينظرن إلا إلى
من يبشر طقوس الصلاة ، وحتى هذا
إنما يباح لمن النظر إليه لأنه يرتدى
ملابس أشبه بملابس النساء ، إن

الالتفات في الصلاة ليس إلا استهتاراً
بها وانها كما لها .

امرأة ١ : [في صوت خفيض] — هذه الصلاة
العجوز !

لابونثيا : [نصر بأسنانها وتقول بصوت خفيض] —
لعنك الله أيتها الشوهاء . .

برناردا : لله الحمد !
النساء : [جيباً يرسم علامة الصليب] — حمداً له
حمداً دائماً . .

برناردا : ارقد في سلام . .
إلى جانب السيدة العذراء . .

الجميع : ارقد في سلام . .

برناردا : إلى جانب سيدنا ميكائيل . .
حامل سيف العدالة . .

الجميع : ارقد في سلام . .

برناردا : والمفتاح الذي فيه مورد كل خير
واليد التي يكف بها كل شر

- الجميع : ارقد في سلام .
 برناردا : ومع الذين رضى الله عنهم
 * وفي الأرض التي يزينها النوار
- الجميع : ارقد في سلام
 برناردا : مع أرواح البررة الطاهرين
 الساعة في فضاء البر وفوق أمواج البحر
- الجميع : ارقد في سلام .
 برناردا : اللهم أنزل السكينة على قلب عبدك
 أنتونيو ماريا بينا فيدس واشمله بجلالك
 المقدس .
- الجميع : آمين
 برناردا : [تقف على قدميها وترتل] - ليهبه الله السلام
 الأبدى . . .
- الجميع : [يتغن ويرتلن في صوت واحد على طريقة التراتيل
 الكنسية] - وليغمره نور الخلود . . .
 [يرسم علامة الصليب ، ثم يقدم الزاء لبرناردا
 واحدة بعد واحدة]
- امرأة ١ : منحك الله الصحة والعافية حتى تواصلى

الصلاة على روحه !

امراة ٣ : ولا حرمك من لقمة الخبز لك ولأهل

بيتك !

امراة ٢ : ولا من ستر يمدده على بناتك !

[النساء يقنن صفا ويغزبن واحدة وراء واحدة

مقدمات الغزاة لبرناردا] .

[تخرج أنجوستياس من باب آخر يظل على

البهو] .

امراة ٤ : ومتعك الله بنعمة زوجك المرحوم :

لايونثيا : [تدخل وفي يدها كيس] هذه التمود

جمعها المعزون من الرجال من أجل

الصلاة على روحه .

برناردا : عبري لم عن شكرنا وقدمي لهم أقداحاً

من الشراب .

ماجدالينا : [ماجدالينا تخفقها العبرة] . . .

بنث : ماجدالينا !

برناردا : [متوجهة إل ابنتها ماجدالينا] . هس :

[يتم خروج النساء وترمقهن برناردا بنظرة

قاسية] . عجلم بالخروج يا نساء السوء

واعلمن ألسنتكن في نقد كل ما شهدتن .:

عصمنا الله من دخولكن مرة أخرى

من هذا الباب !

لابوثيا : أظنك جديرة بالأأتحدثن بالشكوى ،

فقد حضر أهل البلد جميعاً لتقديم فروض

الغزاء . . .

برناردا : نعم . . . حضروا جميعاً لكنى يلطخوا

بقتى بالعرق القذر المنبعث من خرقهم ،

وبالسم الذى يجرى على ألسنتهم !

أميليا : لا تقولى ذلك يا أماه بحق الله !

برناردا : إن ما أقوله ليس إلا ما يستحقه هذا البلد

الملعون الذى حرمه الله حتى من ماء

أنهاره ، ولم يجعل له مستقى إلا من

آبار راكدة لا يكاد أهله يتذوقون الماء

منها إلا وهم على وجل من أن يكون

السم قد ما زجها .

لابوثيا : [ناظرة إلى الأرض] . يا إلهى كيف

تركوا أرض المنزل بعد أن تشققت

يدأى فى تنظيفها ! . .

برناردا : كما لو كان قد اقتحم المنزل فقطع من

المأشبة ! [تنحنى لاجونثيا لتنظيف الأرض]

يا بنت . . . أعطينى مروحة . . .

أديلا : خذى يا أمّ [تعطىها مروحة مستديرة رسمت

عليها أزهار حمراء وخضراء] .

برناردا : [تلتفتى المروحة على الأرض فى غضب]

أهذه هى المروحة التى تقدم إلى أرملة ؟

أعطينى مروحتى السوداء وتعلمى كيف

يكون احترام فروض الحداد .

مارتيريو : خذى مروحتى يا أماه .

برناردا : وأنت ؟

مارتيريو : لست أشعر بالحر .

برناردا : ابجئى لك إذن عن مروحة أخرى فإنك

ستحتاجين إليها . ولتعلمن جميعاً أن الحداد

لدينا ثمانى سنوات ينبغى ألا يدخل

خلالها من أبواب هذا المنزل ولا من

نوافذه حتى هواء الطريق نفسه ،
ولتعتبرن منافذ هذا البيت كما لو كانت
مسدودة لا مخرج منها ولا مدخل إليها .
هكذا جرت العادة في هذا البيت حينما
توفى أبى وحينما توفى من قبلة جدى .
ولتشغلن وقتكن في ثياب زفافكن ،
ولتبدأن بالعمل في ما يشتمل عليه
صندوق ثيابى ، فإن به عشرين قطعة
من الحرير ، تستطعن أن تقطعنها
لتخططن منها ملاءات وطرحا ليوم
زفافكن ، وأما ما تتطلبه تلك الثياب
من تطاريز فإنه أمر ستتكفل به
ماجدالينا .

ماجدالينا : سواء لدى أن أقوم بهذا العمل أو غيره .
أديلا : [في مرارة] - إذا لم يكن لديك استعداد
لشغل ثيابنا فلك أن تركبها كما هي ،
وهكذا تبدو ثياب زفافك أنت أجمل
عما يرتديه جميعنا .

ماجدالينا : لا ثيابي ولا ثيابكن . . فأنا أعرف أنني
لن أتزوج أبدا ، فإنه من الجيرلى أن
أحمل إلى المطلحن أكياس الغلال . .
أو أن أقوم بأى عمل آخر على ألا يكون
انتظارى جالسة فى هذه القاعة المظلمة
أياما وأياما . .

برناردا : هذا الانتظار هو ما تفعله كل امرأة . . .
ماجدالينا : ألا لعن الله النساء جميعهن !

برناردا : اسمى . . ليس لأحد فى هذا البيت أن
يعمل إلا ما أمر أنا بعمله . . أما النساء
فلا عمل لهن إلا خيط وإبرة . وأما
الرجال فلهم سوط وبيغلة يعملون بهما
فى الحقل . هكذا يفعل الناس أمثالنا من
أعطاهم الله نصيبا من الثروة .

[نغزح أديلا] .

[يسمع صوت من الداخل] - برناردا . .
دعيني أخرج !

- برناردا : اتركها تخرج .
- الخدامة : [تدخل المسرح وهي تقول :] - لقد كلفني
منعها من الخروج أشد العناء : إن أمك
قد بلغت الثمانين ، ولكنها ما زالت قوية
كأنها جلدع شجرة : .
- برناردا : ليس ذلك من الغريب ، فقد كان جدى
مثله أيضاً فى القوة :
- الخدامة : لقد اضطرت خلال صراعى معها
أن أسد فمها بكيس فارغ ، فقد كانت
تواصل الصياح منادية لراك بأن تعطيها
قليلاً ولو من ماء الغسيل القدر لكى تطفى*
به عطشها وقطعة من لحم الكلاب الذى
تقول إنك لاتعطينها غيره :
- مارتيريو : ما أسوأ نيّتها ! . .
- برناردا : [متوجهة بالكلام إلى الخدامة] - اتركها تروح
عن نفسها قليلاً فى الثناء . .
- الخدامة : لقد أخرجت من صندوقها خواتمها وسائر

حليها فلبستها وقالت لى إنها تريد أن

تزوج . [البنات يضحكن]

برناردا : اخرجى معها إلى القناء ولا تدعها تقترب
من البئر .

الخدامة : لا تخافى من أن تلتقى بنفسها فيه :

برناردا : لا يهمنى أن تفعل ، غير أنى أحشى أن

تراها الجارات هناك من خلال نوافذهن :

[تخرج الخدامة]

مارتيريو : سنذهب لتغير من ثيابنا .

برناردا : حسنا .. ولكن حذار من خلع « مناديل »

الحداد عن رؤوسكن .. [تدخل أديلا]

وأنجوستياس ؟

أديلا ° : [فى لهجة ذات مغزى] — لقد رأيتها مطلة

من بين قضبان بوابة المنزل ، من حيث

خرج الرجال منذ لحظة .

برناردا : وأنت ؟ ماذا ذهبت لتفعلى لدى البوابة ؟

أديلا : كنت أتفقد الدجاج لأرى ما إذا كانت

قد وضعت ..

برناردا : ولكن الرجال خرجوا قبل ذلك بزمن ..

أديلا : [في لمجة أشبه بالتمريض] - نعم ، غير أنه بقيت جماعة منهم في خارج البوابة .

برناردا : [في غضب ؛ تنادى] - أنجوستياس !

أنجوستياس : [داخله] . هأنذا يا أماه : ماذا تريدين ؟ .

برناردا : ماذا كنت تنظرين ؟ وإلى من ؟

أنجوستياس : لا أحد .

برناردا : أترين من العفة والشرف أن تجرى امرأة

وراء رجل لتأق عليه شراكها في يوم

العصلاة على جنازة أبيها ؟ أجيبي ! :

إلى من كنت تنظرين ؟ [لحظة صمت] .

أنجوستياس : أنا ؟

برناردا : نعم .. أنت .

أنجوستياس : لا أحد !

برناردا : [تتقدم وتضربها في صنف] يا لعوب . : :

يا مائعة ! ..

لابونثيا : [تجرى لتحجز بينهما] رفقاً ، رفقاً يا برناردا .

[تحجز برناردا عن ابنتها بينما تنصب هذه بشعة]

برناردا : اخرجن من هنا جميعاً !

لابونثيا : خفنى عنك يا برناردا . . لقد فعلت

ما فعلت وهى لا تدرك مدى ما فى ذلك

من سوء . . والحقيقة أنه صدمتني

هرواتها إلى الفناء ، ثم رأيتها من وراء

إحدى النوافذ تسمع ما كان يدور بين

الرجال من حديث ، وهو حديث ما كان

لها أن تنصب أذنها له .

برناردا : ألهذا يأتون إلى العزاء ؟ [ثم تنطرد فى

فضول] وعم كانوا يتحدثون ؟

لابونثيا : عن « باكا ذات الوشم » فقد وثب

بعضهم بالأمس على زوجها فتيدوه

وربطوه إلى مذود ، ثم حلوها على

ظنهر حصان إلى أشجار الزيتون فى أعلى

الريوة . .

برناردا : وهى . . ماذا فعلت ؟
لابونثيا : هى ؟ لقد كانت فى غاية الرضا
والوداعة ، ويقولون إنها مضت معهم
عارية الصدر وإن « ماكسيميليانو » كان
يضعها على حجره كما لو كان يعزف
على قيثارة . . شئ فظيع !

برناردا : ثم ماذا حدث ؟
لابونثيا : الذى كان ينبغى أن يحدث . . ثم عادوا
جميعاً قبل مغيب الشمس ، وأما « باكا
ذات الوشم » فقد أقبلت تتهادى وهى
مشعثة الشعر وعلى رأسها تاج من
الزهور ! ..

برناردا : إنها العاهر الوحيدة فى هذا البلد .
لابونثيا : وما ذلك إلا لأنها غريبة عنا ، فقد أتت
من قرية بعيدة جدا ، وأما الذين حملوها
إلى هناك فإن آباءهم أيضاً غرباء عن هذا
البلد ، فلست أظن الرجال هنا يجرؤون
على ارتكاب مثل ذلك ! ..

برناردا : لا . . هم لا يجروون على فعله ، ولكنهم
يتلذذون برويته والتعليق عليه ، وكأني
بهم يلغون أصابعهم وراء وقوعه
والتحدث به .

لابونيا : وليس ذلك فقط ، فقد كانوا يتحدثون
عن أشياء أكثر من ذلك وأسوأ . .

برناردا : [تلفت حوالها في قلق وخوف] - وماهي ؟

لابونيا : إنني أستحي من تكرارها . .

برناردا : واستمعت ابنتي إلى كل ذلك ؟

لابونيا : بلا شك ! . .



برناردا : الامينة . . لقد شابهت في ذلك عماتها
اللاتى كن يتهادين في ثيابهن البيض في
خيلاء وكبر ، فإذا سمعن عبارة غزل
يفوه بها حلاق بائس أقبلن ينظرن في
رضا وسرور كأنهن شياه طيبة . .
آه . . ما أكثر ما تقاسيه الأم حتى
تحافظ بناتها على شرفهن وحتى لا يهوين
إلى الحضيض ! . .

لابونثيا : نعم ... إن بناتك قد بلغن العمر الذى
يخشى منه عليهن ، فكلهن يحتاجن إلى
الزواج ، ولك أن تحمدى الله على أنهن
لا يتسببن لك في كثير من المتاعب . . إن
من أنجوستياس قد أصبحت تتجاوز الآن
الثلاثين بكثير . . أليس كذلك ؟

برناردا : تسع وثلاثون سنة كاملة . .

لابونثيا : تصورى . . ولم يفتعلها أحد حتى الآن :

برناردا : [في هياج وثورة] - لم تختطف هي

ولا واحدة من أخواتها حتى الآن . .
ولسن في حاجة إلى خطيب ، فهن
يستطعن الحياة بلا زوج دون أن يصيبهن
أى شيء . . .

لابونيا : [فتلفت] - لم أقصد بذلك إثارتك
ولا إغضابك .

برناردا : اسمي . . إنه لا يوجد في هذا البلد في
دائرة قطرها مائة ميل أحد جدير بأن
يقرب إلى إحداهن . . إن رجال هذا
البلد ليسوا من طبقتهن ، أم تريدن أن
أسلمهن إلى أي صعلوك ؟

لابونيا : إذن فأخرجي بيناتك إلى بلد آخر . .

برناردا : نعم . . لكي أبيعهن ! . .

لابونيا : لم أقصد هذا يا برناردا . . ولكن ليفعلن
جو هذا البلد . . ولو أنهم في بلد آخر
فربما أصبحن هن الفقيرات ! . .

برناردا : أحرصى لسانك هذا الملعون !

لابونيا : ألا أستطيع التحدث إليك في صراحة ؟
أبيننا ثقة متبادلة أم لا ؟

برناردا : ليست هناك ثقة . . وكل ما هناك أنك
تخدمين في بيتي وأنى أذفع لك أجرك . .
ولا شيء بعد ذلك .

الخادمة : [نظهر بالباب] - لقد قدم السيد أرتورو ،
جاء لكي يسوى مسألة توزيع التركة .

برناردا : ها أنا ذاهبة [ثم متوجهة إلى الخادمة] وأما
أنت فنظفي الفناء [ثم إلى لابونيا] وأنت
اذهبي فاحفظي في الدولاب الكبير
ثياب التقييد . .

لابونيا : هناك أشياء قد يحسن أن نتصدق بها . .
برناردا : لا شيء . . ولا زرار واحد . . ولا حتى

المنديل الذي غطينا به وجهه [تخرج في بطة
وتلقت أثناء خروجها بنظرات صارمة إلى
الخادمتين ، تفرج الخادمتان وتدخل أميليا
ومارتيريو]

أميليا : هل تناولت الدواء ؟

مارتيريو : كما لو كان يفيدنى بشئ !

أميليا : ولكنك تناوليه على ما أرى .

مارتيريو : إني أفعل ما أومر بفعله دون إيمان

ولا اقتناع ، ولكنى مع ذلك مواظبة

كالساعة التى تدور دون أن تدرى

ما تفعل .

أميليا : غير أنى أراك قد تحسنت كثيرا منذ أن

قدم الطبيب الجديد .

مارتيريو : أنا لا أشعر بأنى أحسن مما كنت .

أميليا : هل لاحظت أن أديلايدا لم تكن حاضرة

أثناء العزاء ؟

مارتيريو : نعم ، كنت أعرف ذلك ، وأعرف أن

خطيها هو الذى يمنعها حتى من الإطلال

على الشارع ، لقد كانت من قبل مرحة

ضحوكا ، وهى اليوم ممتنعة حتى 'عن

طلاء وجهها بالمساحيق .

أميليا : لم تعد الواحدة منا تعرف اليوم ما إذا
كان من الخير لها أن يكون لها خطيب
أم لا ..

مارتيريو : لا أظن هناك فرقا بين الأمرين .

أميليا : الذنب ذنب السنة السوء التي لا تزال
تحول بنقدها بيننا وبين تذوق طعم
الحياة . مسكينة أديليدا ، أظنها قاست
من ذلك الكثير .

مارتيريو : لأنها تشعر بأشد الخوف من أمنا ، فهي
الوحيدة التي تعرف قصة أبي أديليدا
ومصدر أراضيه ، ولهذا فإن أمنا لا تكاد
تراها حتى تنهال عليها خناجر تعريضها
لللاذع . أما هذه القصة فيقال إن
أبا أديليدا كان قد قتل في حرب كوبا
زوج امرأته الأولى حتى يخلفه عليها ،
فلما تحقق له ذلك وتزوج من تلك المرأة
لم يلبث أن تركها ، وتعلق بأخرى

كانت لها ابنة ، ثم هجر تلك أيضاً
إلى فتاة أخرى هي أم أدبلايدا ،
وتزوج منها بعد أن أدى بامرأته الثانية
إلى الجنون .

أميليا : وهذا الوغد كيف ترك طليقاً وكان
أنسب مكان له هو قاع السجن ؟

مارتيريو : إن الرجال يستر بعضهم جرائم البعض
ولاسيما إذا كانت متعلقة بأمثال هذه
الأشياء ، ولا يجروء أحد عندئذ أن
يبوح بسر من أسرارها .

أميليا : ولكن أدبلايدا ليست ذات ذنب في
جرائم أبيها . . .

مارتيريو : لا . . . ولكن الأحداث تتكرر ، ولست
أرى في كل ما يقع إلا تكراراً رهيباً ،
وأدبلايدا ليست بدعا في ذلك فإنها قد
ورثت خطيئة أمها وجدتها اللتين انعدرت
هي من سلالتهما . .

أميليا : أمر شنيع ! ..

مارتيريو : إنه خير للمرأة ألا تنظر إلى رجل قط ،
وإنى لأذكر أنتى منذ طفولتى لم أكن
أنظر إلى الرجال إلا فى كراهية وخوف ،
واقدم كنت أراهم فى الحظيرة وهم يربطون
الثيران أو يحملون أكياس التمح وكان
وقع أقدامهم الغايظة وجلبتهم تتردد
فى أذنى ، فأشعر بالخوف من اليوم
الذى أتوفيه خشية أن أرى نفسى بين
ذراعى أحدهم ، ولهذا فإنى أحد الله
على أنه خلقتنى ضعيفة الجسم
قبيحة الصورة حتى بصرفهم عنى
إلى الأبد .

أميليا : لا تتولى ذلك بحق الله ! ألا تذكرين
أن « إنريكى أوماناس » كان معجبا بك
حتى إنه أخفى قدميه وراءك ؟

مارتيريو : أكاذيب لفتتها . السنة الناس . الذى

أذكره هو أنني تجردت يوماً من ملابسى
وبقيت فى قميص من وراء نافذتى
ليلة كاملة حتى طلع الفجر وأنا. فى
انتظاره بعد أن أرسل إلى مع ابنة خادمه
أنه سيأتى ، ولكنه لم يجرى . . . لم يكن
كل ذلك إلا كلاماً اخترعته ألسنة الناس :
ثم مالبت أن تزوج من أخرى كان لديها
من المال أكثر مما لدى .

- أميليا : . . . ودميمة كآتها شيطان !
- مارتيريو : وماذا بهم الرجال من القبح والدمامة
فى النساء ؟ إن كل ما يريدون هو ما يملكن
من أرض وماشية . . ثم كلبة أليفة
تقدم لهم الطعام !
- أميليا : [منبهة] آه ! . : [تدخل ماجدالينا] :
- ماجدالينا : ماذا تفعلان ؟
- مارتيريو : هنا . :

أميليا

: وأنت ؟

ماجداalina

: لقد كنت أنجول في غرفة البيت . . .

شيء لقطع الوقت وتسريح الرجلين . .

وقد كنت أتأمل بعض أثاث جدتنا

وملابس زفافها ، وذلك الكلب الصغير

المصنوع من الصوف وتمثال الزنجبى

الذى يصارع الأسد ، أشياء طالما كانت

تعجبنا وتدخل إلى قلوبنا السرور في أيام

الطفولة . . تلك الأيام السعيدة المرححة ،

حينما كانت الأعراس تستمر عشرة أيام

وحينما كانت ألسنة الناس أقل فتكا

وحدة . . أما الآن فإن العرائس يضعن

على رءوسهن الطرح البيض الشفافة

كما يفعلن في المدن ، والمدعوون

يفرغون في أجوافهم زجاجات النبيذ ،

هذا بينما يلوكوننا بألسنة تدعنا حطاماً
متبالكا عننا . .

مارتيريو : ويعلم الله بعد ذلك ما الذى يحدث !
أميليا : [متوجة إلى ماجدالينا] لقد انفك رباط
حدائك .

ماجدالينا : وماذا بهم ؟
أميليا : قد تطئنه فتسقطين على وجهك !
ماجدالينا : لتتبع واحدة فهى لن تنقص من عدد
النساء . .

مارتيريو : وأديلا ؟ أين هى ؟
ماجدالينا : آه . . لقد لبست ثوبها الأخضر الذى
جلت به يوم عيد ميلادها ، وذهبت
إلى الحظيرة تنادى بأعلى صوتها « أقبلن
أيتها الدجاجات . . أقبلن فانظرن إلى آه ،
إننى لم أملك نفسى عندئذ من الضحك !

أميليا : لو أن أى رأتها !

ماجدالينا : مسكينة ! إنها أكثرنا شبابا والأمل
بملاً صدرها ، وإني لأتمنى أن
أضحى بأى شىء فى سبيل أن أراها
سعيدة . .

[لحظة صمت ، ثم تدخل أنجوستياس وفى يديها
عدة مناشف]

أنجوستياس : كم الساعة الآن ؟

ماجدالينا : أظنها قريبة من الثانية عشرة .

أنجوستياس : أبلغت ذلك ؟

أميليا : إن لم تكون الثانية عشرة فهى توشك أن
تكون . [تخرج أنجوستياس]

ماجدالينا : [فى لهجة ذات مغزى] — ألا تعرفان الخبر ؟
أميليا : لا .

ماجدالينا : لا تتظاهرا بالجهل !

مارتيريو : لست أدرى عم تتحدثين ؟

ماجدالينا : أنتما تعرفانه خيراً مما أعرف لإنهما دائماً

رأساً إلى رأس كما لو كانا شاتين متآلفتين ،
فإذا افترقنا لم يبح أحد منهما بسره . إنما
أعنى « بيبي إل رومانو » !

مارتيريو : آه !

ماجدالينا : [متلدة أختها] - آه ! إن الأمر أصبح
محل تعليق أهل البلد جميعاً . بيبي
إل رومانو يوشك على خطبة أنجوستياس :
وقد قضى ليلة أمس دائراً حول منزلنا
وأظن أنه لن يمضي وقت طويل حتى
يبعث رسولا للتحدث في الموضوع .

مارتيريو : إنني لسعيدة لذلك . فالفتي طيب لأبس به .

أميليا : وأنا كذلك ، فإن أنجوستياس صالحة له .

ماجدالينا : لا تكذبا ، فإني أعرف أنكما لا تشعران
بأى سرور لذلك .

مارتيريو : ماجدالينا ، كيف تقولين ذلك ؟

ماجدالينا : لو أن إل رومانو قدم لرغبته في
أنجوستياس أو لنظرته إليها كما ينظر
إلى امرأة يحبها لشعرت أنا كذلك
بالفرحة ، ولكننا نعرف أنه لن يأتي
إلا طمعا في ثروتها . إن أنجوستياس
أختنا وواحدة من أفراد أسرتنا ولكن
هذا لا يمنع أن نعرف بالحقيقة ، وهي
أنها عجوز كثيرة المرض ، وقد كانت
دائما أقلنا صلاحية للزواج : . فقد
كانت - وهي في سن العشرين - تبدو
كأنها عصا خلعوا عليها زى النساء ،
فكيف بها الآن وهي في الأربعين !

مارتيريو : لا تقول ذلك ، فربما أنت المفاجأة
السعيدة إلى أقل الناس انتظارا لها !

أميليا : على أية حال هي تقول الحقيقة ؛ فإن

أنجوستياس لديها الآن كل مال أبيها ،
وهي الغنية الوحيدة بيننا ، وقد كان
موت أبينا وتوزيع تركته التي ظفرت
منها أنجوستياس بنصيب الأسد هو الذي
جعل الأنظار تهافت إليها ، ولإشياء
غير ذلك :

ماجدالينا : إن بيبي إيل رومانو في الخامسة
والعشرين ، وهو أحسن شباب هذا
البلد وما يحيط به ، وقد كان المنطقي
أن يحطبك أنتِ يا أميليا أو يحطبك أختنا
أديلا التي لا تتجاوز العشرين . ولكن
الغريب الذي يدعو للتساؤل هو أن يأتي
في طلب أسوأ ما في هذه العائلة . . وأن
يحطب امرأة لا تستطيع الحديث إلا من
أنفها كما كان أبوها من قبل .

مارتيريو : ولكن ألا يجوز أن تكون قد أعجبته ؟

ماجدالينا : لم أتمكن أبداً من ابتلاع النفاق الذي يطل دائماً من كل كلمة تنطقين بها !

مارتيريو : سامحنا الله جميعاً . [تدخل أديلا]

ماجدالينا : هل رأيتك الدجاجات ؟

أديلا : وما كنتين تُردّني أن أفعل ؟

أميليا : لو أن أمتنا رأيتك لجرتك من شعرك حتى هنا !

أديلا : لقد كنت شديدة الفرح والإعجاب بثوب الجديد . وكنت أريد أن ألبسه في اليوم الذي اعتدنا فيه الخروج لأكل البطيخ في المزرعة . ولست أظن في ثيابي أجمل منه .

مارتيريو : حقيقة هو ثوب رائع .

أديلا : وقد جاء مناسباً لي تماماً إنه خير ما خاطته ماجدالينا .

- ماجدالينا : والدجاج . . . ماذا كان رأيها ؟
- أديلا : كل ما فعلته هو أنها أهدت إلى بعض
البراغيث ما زالت تنهش لحم ساقى
[يضحكن] .
- مارتيريو : لم يبق أمامك إلا أن تصبغيه بالسواد :
- ماجدالينا : أو أن تهدبه إلى أنجوستياس بمناسبة زفافها
إلى « بيبي إن رومانو » .
- أديلا : [في انفعال تحاول كتمه] - ولكن . . .
بيبي إن رومانو . . . ؟
- أميليا : نعم . . . ألم تسعى بالخير ؟
- أديلا : لا .
- ماجدالينا : إذن قد عرفته الآن . . .
- أديلا : ولكن . . . هذا مستحيل .
- ماجدالينا : . . . بل يمكن جداً . . . إن المال يدلل
المستحيلات .

أديلا : ألهذا إذن خرج في آخر المعزين وبقى
لحظات ينظر من خلال البوابة ؟
[لحظة سميت] ولكن أتريين هذا الرجل
قادراً على . . .

ماجداينا : [تقاطعها] - إنه قادر على كل شيء
[لحظة صمت]

مارتيريو : فبم تفكرين يا أديلا ؟

أديلا : أفكر في أن هذا الحداد قد نزل على
في أسوأ لحظات حياتي .

ماجداينا : [في مرارة] - سوف تتعودين على
ذلك . . .

أديلا : [في ثورة ودى تسخرط في بكاء شديد] -
لا . . . لن أتعود . . . لن أظل حبيسة
في هذا البيت ، لست أريد أن يذبل
جسدى هنا كما ذبلت أجسادكن لست
أريد أن تفقد بشرتى بياضها في ظلام

هذه الغرف . غداً سوف أرتدي ثوبي
الأخضر وأنزل لمنزلة في الشارع . . .
أنا أريد الخروج !
[تدخل الخادمة]

ماجداالينا : [في لهجة الأمر] - أديلا .
الخادمة : مسكينة ، كم هي حزينة على موت
أيها . . . [تخرج]

مارتيريو : اسكتي .
أميليا : كل ما تشعله واحدة منا فهو من حق
الجميع . [أديلا تتماك نفسها]

ماجداالينا : لقد أوشكت الخادمة على أن تسمع
ما تحدثت به [تظهر الخادمة مرة أخرى]
الخادمة : « بيبي إل رومانو » آت إلى هنا ، وقد
رأيته على رأس الشارع .

[تجرى أميليا ومارتيريو وماجداالينا بسرعة] .
ماجداالينا : هيا بنا لرؤيته ! [يخرجن مهرولات] :
الخادمة : [متوجهة إلى أديلا] - وأنت ألا تذهبين ؟

أديلا : الأمر لا يهينى !

الخدّامة : إنه فى طريقه سيدور حول ناصية الشارع ، ولهذا فىنى أظن أن خير مكان لرؤيته هو نافذة غرفتك [تخرج]

ر أديلا تنق وحدها فى المسرح مترددة ، ولكنها بعد لحظات تقرر الخروج كذلك بسرعة إلى شرفتها .
تظهر برناردا ولايونثيا] .

برناردا : لعن الله التراكات وتوزيعها !

لايونثيا : لقد خصص أنجوستيناس فى التقسيم أكبر نصيب !

برناردا : نعم

لايونثيا : أما الباقيات فنصيبهن أقل بكثير .

برناردا : [فى حدة] - لقد كررت على ذلك ثلاث مرات ، ولم أشأ أن أرد عليك .
أقل بكثير . . . بكثير جدا . . . أعرف ذلك ولا أريد أن تذكرينى به مرة

أخرى . . أفهمت ؟ [تظهر أنجوستياس وهي
في أبي زينتها] .

برناردا : [في دهشة واستنكار] — أنجوستياس ا

أنجوستياس : نعم . . يا أمي .

برناردا : ولكن . . هل جرؤت على صبغ وجهك
بالمساحيق ، وهل غسأت وجهك في
يوم جنازة أبيك ؟

أنجوستياس : أظنك نسيت أنه ليس أبي ، فقد مات

أبي منذ سنوات ، ألا تذكرين ؟

برناردا : إنك تدينين لهذا الرجل ، والد أخواتك ،
بأكثر مما تدينين به لأبيك ، فبفضله
أصبحت الآن أغني أفراد الأسرة .

أنجوستياس : هذا أمر أريد أولاً التحقق منه .

برناردا : إذا لم يكن للحشمة لديك مكان ،

فلا أقل من احترام مظاهر الحداد .

أنجوستياس : دعيني أخرج يا أمي .

برناردا : تريدان أن تخرجي ؟ ولكن بعد أن

تزيلى هذه الأصباغ التى لطلخت بها
وجنهك . . يا مائة . . يا لعوب . .
يا سلالة عماتك ! [تهجم عليها وتزيلى الأصباغ
عن وجهها بتديل فى صنف وشدة] . . والآن
اخرجى إذا شئت .

لابونثيا : لا تكونى قاسية معها هكذا .

برناردا : إذا كانت أهى مجنونة فإنى مازلت فى
كامل قواى العقلية وما زلت أتمتع
بجواسى الخمس . . وأنا أعرف ما يجب
على أن أفعل [تدخل البنات جميعا] .

ماجدالينا : ماذا جرى ؟

برناردا : لم يجر شيء !

ماجدالينا : [متوجهة إلى أنجوستياس] إذا كنتن تتحدثن
عن توزيع التركة فلاشك أنك مسرورة
لأنك أصبحت أغنى هذه الأسرة فقد
خصصك معظم الثروة .

أنجوستياس : احفظى لسانك هذا فى جحر .

برناردا : [تدق الأرض بقدمها في تده] — لا تعتقد
واحدة منكن أنها ستتندر عليّ ، فأظن
أنا المتصرفه في مالي وفي مالكن إلى أن
أخرج من هذا البيت محمولة على نعش !
[تسع أسوات في الخارج ، ثم تفتح المسرح
ماريا خوسيفا أم برناردا العجوز وقد زينت
صدرها ورأسها ببعض الزهور]

ماريا خوسيفا : برناردا ، أين شالي وطرحتي ؟ إلى
لا أريد أن تستولي إحداكن على شيء
مما أملك .. لا خواتمي ولا ثوبي الأسود
الحريري المتموج . فإنه لن يتزوج
واحدة منكن .. ولا واحدة !
برناردا ، أعطيني عقدى اللؤلؤى . :

برناردا : [إلى الخادمة] — كيف تركتها تخرج ؟

الخادمة : [مرتجفة] لقد هربت من يدي !

ماريا خوسيفا : نعم .. لقد هربت لأنني أريد أن أتزوج :

أريد أن أتزوج من فتى جميل يأتي من
ساحل البحر ، مادام الرجال في هذا البلد
المشثوم يهربون من النساء .

برناردا : كفى عن هذا اللغو يا أمي .

ماريا خوسيفنا : لا . . لن أكف . . لست أريد أن أبقى
هنا لأرى هؤلاء النسوة العوانس يتحرقن
إلى الزواج وتستحيل قلوبهن إلى رماذ .
إنني أريد أن أعود إلى قريتي . برناردا ،
أريد أن أتزوج من شاب جميل يعيد إلى
قلبي السرور !

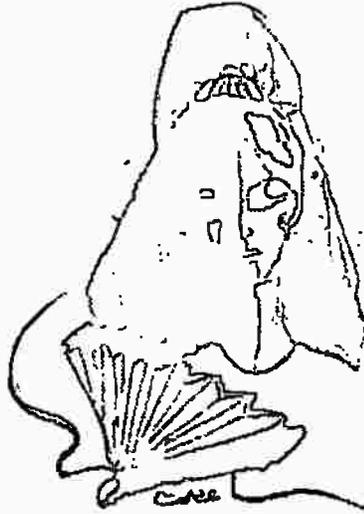
برناردا : [تصيح] - احملنها إلى غرفتها وأغلقن
دونها الأبواب !

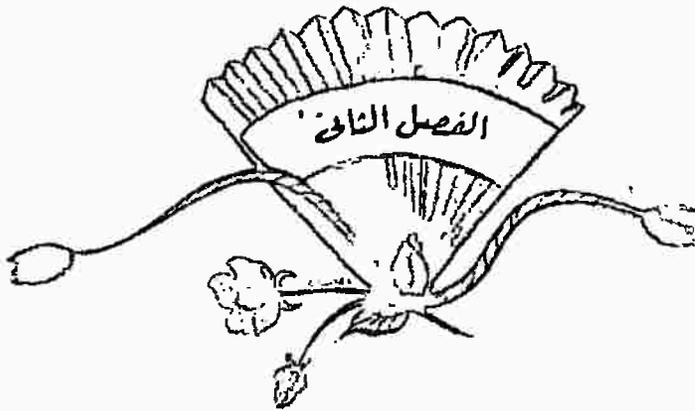
ماريا خوسيفنا : دعيني أخرج يا برناردا [تتقدم الخادمة
فتحيطها بذراعيها بقوة]

برناردا : ساعدتها جميعا . [الخادمة والبنات يخرجن
بها جرا] .

مريا خوسيفا : [تصح ومن يجرها بعنف] - أريد أن
أذهب من هنا يا برنا، دا أريد أن أتزوج
من فتى جميل يأتي من ساحل البحر :
من ساحل البحر . .

[السار ينزل بسرعة]





[حجرة بيضاء المدران في منزل برناردا ألبا ، الأبواب التي
إلى اليسار تؤدي إلى غرف النوم . بنت برناردا كلهن
مجمعات في الحجرة ، ويرين جالسات على كراسي منخفضة يخطن
أثوابا في أيديهن بينما تقوم ماجدالينا بزخرفة الثياب ، وإلى
جانبا لابرفشيا] .

أنجوستياس : قد انتهيت من قطع الملاءة الثالثة .
مارتيريو : إن دور هذه الملاءة على أميليا .
ماجدالينا : أنجوستياس ، هل أضع عليها أول حرف
من اسم « بيبي » ؟

أنجوستياس : [بحفاف] لا ؟

ماجدالينا : [في صوت مرتفع] أديلا ، ألا تأتين ؟

أميليا : لعلها الآن مستلقية في سريرها .

لابوثيا : هذه البنت لا تبدو في حالتها الطبيعية ،

فإنى أراها قلقة ترجف في خوف وفزع

كأنما يضطرب في صدرها ثعبان . .

مارتيريو : لا أظن أن ما لديها يزيد ولا ينقص

عما لدينا جميعاً .

ماجدالينا : نعم ، نحن جميعا ما عدا أنجوستياس . .

أنجوستياس : أنا بخير والحمد لله ، ومن كان يؤله

ذلك فليت بغيظه .

ماجدالينا : [في سخرية] ليس هناك شك في أن خير

ما تمتازين به هو الذوق والرقه .

أنجوستياس : الذي أحمد الله عليه هو أنني سأخرج

قريباً من هذا الجحيم .

ماجدالينا : ومن يدري ؟ فلعلك لا تخرجين !

مارتيريو : ألا تركب هذا الجدال السخيف ؟
أنجوسيناس : وشيء آخر : فلتعرفن أن خردلة
ذهب في صندوقك خير من جمال
العيون السود !

ماجدالينا : كلام يدخل في أذني اليمنى ويخرج من
اليسرى .

أميليا : [متوجهة إلى لابونتيا] افتحي باب الغناء
لعل نسمة باردة تلطف حدة هذا الحر .
[لابونتيا تفتح الباب] .

مارتيريو : إنني لم أستطع النوم ليلة أمس بسبب
شدة الحرارة .

أميليا : ولا أنا كذلك .

ماجدالينا : لقد نهضت من فراشي لأنلمس نسمة
هواء بارد ، ورأيت السماء وقد انعقدت
فيها غيوم سوداء كثيفة كانت تنذر
بعاصفة ، بل أذكر أن قطرات من المطر
بدأت تساقط بالفعل .

لابونثيا : كانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد
منتصف الليل ؛ ومع ذلك كنت أحس
كأن ناراً تنبعث من جوف الأرض .
وكانت أنجوستياس ما زالت تتحدث من
خلال النافذة إلى بيبي .

ماجدالينا : [في نبرة ساخرة] - حتى تلك الساعة ؟
ومتى ذهب إذن ؟

أنجوستياس : ماجدالينا ، لتمد رأيتيه وهو ذاهب ، فما
سبب هذا السؤال ؟

أميليا : في نحو الواحدة والنصف .

أنجوستياس : حقاً ؟ وأنت كيف عرفت ذلك ؟

أميليا : سمعت سعاله ووقع خطوات بقلته .

لابونثيا : ولكنني أحسست بذهابه في حدود
الساعة الرابعة .

أنجوستياس : ربما لم يكن هو .

لابونثيا : ولكنني متأكدة .

- أميليا : وأنا كذلك أظنه هو .
- ماجدالينا : شيء غريب ! [لحظة صمت]
- لابونثيا : اسمعى يا أنجوستياس . خبرينى :
- ما الذى قاله لك فى أول مرة تحدث فيها إليك من خلال قضبان النافذة ؟
- أنجوستياس : لا شيء . . . وكيف أذكر ما قال ؟ . . .
- أشياء مما يعرض فى الحديث .
- مارتيريو : الحقيقة أنه من الغريب أن يجتمع شخصان لا يكاد أحدهما يعرف الآخر ، فإذا بهما فجأة يلتقيان حول نافذة وبصبحان خطيبين .
- أنجوستياس : بالنسبة إلىّ ليس فى الأمر غرابة .
- أميليا : وأما أنا فإنه يحدث فى نفسى شعوراً لست أدرى كيف أصفه .
- أنجوستياس : إن الرجل حينما يقترب من نافذة امرأة لكى يتحدث إليها فإنه يعرف مقدماً أنها ستقبل عرضه عليها بأن تتزوج منه .

مارتيريو : ولكنه ينبغي أن يكون قد عرض ذلك عليك في صراحة !

أنجوستياس : بغير شك .

أميليا : [في فصول] - وكيف فاتحك في ذلك ؟

أنجوستياس : لا شيء ، قال لي : « أنت تعلمين أنني أتردد عليك رغبة فيك ، وإني أحتاج إلى امرأة طيبة مهذبة ، وأنت المرأة التي أنشدها لو لقي ذلك منك القبول » .

أميليا : مثل هذه الأشياء تخجلني .

أنجوستياس : ولقد أخرجتني أنا أيضا ، ولكن لا مفر منها .

لابونشيا : ولم يقل أكثر من ذلك ؟

أنجوستياس : نعم . . كان هو الذي يتحدث دائما .

مارتيريو : وأنت ؟

أنجوستياس : لم أكن أستطيع حتى ولو أردت ، فقد

كاد قلبي يتفزع إلى في من رهبة الموقف .

فقد كانت أول مرة أتحدث فيها ليلا

بمفردي إلى رجل .

ماجدالينا : . . . وإلى رجل وسيم الطلعة :

أنجوستياس : لا بأس به .

لابونثيا : مثل هذا يحدث بين أشخاص لم نصيب

من الثقافة يعرفون كيف يتحدثون

ويلوحدون بأيديهم . أما نحن فأمرنا يختلف

عن ذلك ، وأنا أذكر أن زوجي

« إيقارستو الأزعر » حينما أتى إلى نافذتي

لأول مرة .. ها .. ها .. ها .

أميليا : وماذا حدث ؟

لابونثيا : تقدم إلى نافذتي في الظلام .. فلما وصل

إلى حيث كنت توقف قليلا ثم قال :

مساء الخير . ورددت عليه : أسعد الله

مساءك ! وبقينا صامتين نحو نصف

ساعة لم نتبادل فيها حرفا . كنت أحس

بأن العرق يتصبب من جسمي كله ،

ثم دنا مني حتى كاد ينفذ من خلال

قضبان النافذة ، ولم يفتح عليه الله بعد

ذلك إلا بقوله في صوت خفيض : اقتربي

ودعيني أتخس جسديك ! [يفسحكن جميعا]

[تقف أميليا ثم تجرى إلى الباب متسمة]

: آه . . كنت أحس أن أمي قادمة .

أميليا

: ترى ما كانت تفعل بنا لو أنها رأتنا

ماجدالينا

وسمعتنا !

[يواصلن الضحك] .

: هس . . وإلا فإنها ستسمع ما نقول .

أميليا

: [تستمر في حديثها] - غير أنه استقام بعد

لابونثيا

ذلك . هذا وعليكن أن تعرفن - وأنتن

بعد لم تزوجن - كيف يسلك الرجل

بعد الزواج . إنه بعد خمسة عشر يوما

من الزفاف لا يلبث أن يترك السرير إلى

مائدة الطعام . ثم يترك مائدة الطعام إلى

المقهى مع أصدقائه ، ومن لم يعجبها

ذلك فلتختر لها في البيت ركنا تسكب

فيه عزاتها .

: وهل رضيت أنت بذلك ؟

أميليا

- لابونثيا : لا ، لأنى عرفت كيف أحكم قياده .
- مارتيريو : هل صحيح ما يقال من أنك ضربته
عدة مرات ؟
- لابونثيا : نعم ، بل كدت مرة أن أتركه أعور .
- ماجدالينا : هكذا ينبغي أن تكون النساء .
- لابونثيا : لقد اتبعت فى ذلك ما لقتته لى أمى ، وأنا
أذكر أنه قال لى يوهاشينا أغضبنى ،
فنهضت إليه بیده المدق « نهوضا أطار
من وجهه كل الألوان . [يضحكن] .
- ماجدالينا : [تنادى] - أديلا ، تعالى وإلا فاتك
ما تتحدث به لابونثيا .
- أميليا : [تنادى مرة أخرى] - أديلا . [لحظة صمت]
- ماجدالينا : [تنفس] - سأذهب لأرى ما بها .
- لابونثيا : هذه البنت تبدو مريضة .
- مارتيريو : طبعا ، إنها لا تكاد تنام .
- لابونثيا : ماذا تفعل إذن ؟
- مارتيريو : وما أدرانى أنا ؟

- لايونثيا : أنت أعرف بأمرها منى على الأقل :
- فهى تنام فى الغرفة المجاورة لغرفتك .
- أنجوستياس : إن الحسد يأكل جسدها .
- أميليا : لا تبالغى .
- أنجوستياس : أنا أرى ذلك فى عينيها . فقد أصبحت
نظراتها زائفة تنذر بالجنون .
- مارتيريو : لا نتحدثن هنا عن الجنون . فإن هذا
البيت هو المكان الوحيد الذى لا يمكن
فيه التفتوه بهذه الكلمة . [تخرج ماجدالينا
من أحد الأبواب إلى المسرح ومعها أديلا] .
- ماجدالينا : لم تكونى نائمة إذن ؟
- أديلا : أشعر بكثير من الإجهاد .
- مارتيريو : [فى لهجة ذات مغزى] ألم تنامى جيداً فى الليلة
الماضية ؟
- أديلا : نعم ، نعمت كالمعتاد .
- مارتيريو : إذن ؟
- أديلا : [فى عنف] لماذا لا تدعيننى وشأنى ؟

وسواء نمت أم أرقمت فهذا لا يدعوك
إلى حشر نفسك في أمورى الخاصة ،
أنا حرة في جسدى أصنع به ما أشاء .

مارتيريو : كل ما هناك أننى مهتمة بك .

أديلا : اهتمام أم استجواب ؟ ألم تكن تعملن
بأيديكن ؟ واصلن عملكن إذن . لشد
ما وددت أن أكون خافية عن الأنظار
أحترق الجدران كالأشباح دون أن
أعرض لقذائف أسئلتكن : ممن أين
جئت ؟ وإلى أين تذهبين ؟

الخدامة : [تدخل] أهكن تناديكن ، فقد حضر
الرجل المكلف بالتنظيف [يخرجين] ،
وترفق مارتيريو أخذها أديلا بنظرة فاحصة [.

أديلا : لا تنظري إلى هكذا ! إذا شئت فإني
مستعدة أن أعطيك عينيّ بدلا من عينيك
الذابلتين وأن أترك لك ظهري لتقوى
به ظهرك الأحذب وكثفك المقومتين ،

ولكنى أطلب إليك أن تدبرى وجهك

عنى حيثما مررت . [تتعرج مارتيريو] .

لابونثيا : لا تقولى ذلك ، إنها أختك ثم إنها أكثر
أخواتك حبا لك .

أديلا : [فائرة] إنها تتعقب خطواتى أينما ذهبت ،

وهى تتلصص علىّ فى غرفتى لترى

ما إذا كنت نائمة أم لا . . إنها لا تكاد

تدعنى أنفـس ولا تكف عن التوجع لى

قائلة : « مسكين هذا الوجه . . مسكين

هذا الجسم الذى لن يتمتع به رجل » ،

ولكن لتعلم أنها مخنطة فإنى سأهب جسـمى

إلى من أريد !

لابونثيا : [بصوت خفيض وعلجة لما مزاعا] ، لبيـبى

إل رومانو؟ أليس كذلك ؟

أديلا : [فى ذعر مفاجئ] ماذا تقولين ؟

لابونثيا : الذى قلته يا أديلا .

أديلا : اخرسى !

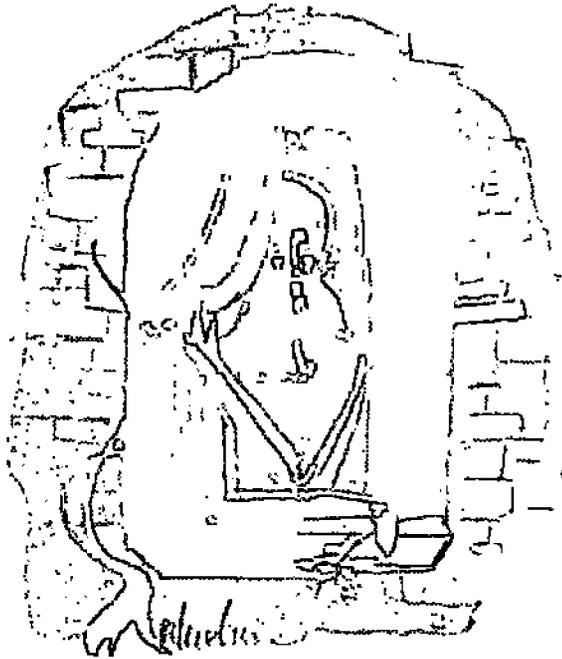
لابونثيا : [بصوت مرتفع] أعتقدين أنني لم أنتبه
إلى ما يحدث ؟

أديلا : خفضي صوتك .. أرجوك .

لابونثيا : .. اقتلي هذه الأفكار السوداء التي تدور
برأسك .

أديلا : وما الذي تعرفينه أنت ؟

لابونثيا : إن العجائر من أمثالي يرين من خلال



الجدران . أين تذهبين أنت حينما تتركين
فراشك في ظلام الليل ؟

أديلا : ألا أعمى الله عينيك .

لابونثيا : لو كنت عمياء لجعل الله لي مئات من
الأبصار في رأسي وفي يديّ مادام الأمر
قد وصل إلى ما وصل إليه . . . ولست
أدرى مهما أطلت التفكير فيما تفعلين
ما الذي تسعين إليه . . . خبريني بالله لماذا
وقفت شبه عارية وغرقتك مضاءة
للنور مفتوحة النوافذ حينما مر من تحتها
« بيبي » ثاني يوم جاء فيه للتحدث مع
أختك ؟

أديلا : أنت كاذبة . . .

لابونثيا : لاتصرفي تصرف الأطفال الصغار . . .
وأنا أقولها لك مرة أخرى : اتركي
أختك في سلام ، وإذا كان « بيبي

إل رومانو « يعجبك فلتتحمل قليلا ! . .
[أديلا تشرع في البكاء] ثم إنه من الذى
يقول إنك لا تستطيعين الزواج منه ؟
إن أختك أنجوستيامس مريضة ضعيفة
البنية ولست أظنها تحتمل الوضع لأول
مرة فهى ضيقة الخوض متقدمة فى
السن ، وأنا أعرف من تجاربي أن موتها
قريب . وحينئذ سيفعل ببني ما يفعله كل
الأراامل فى هذا البلد : وهو الزواج من
أجمل فتيات العائلة وأصغرهما سنا ،
وليس فى هذه الأسرة أصغر ولا أجمل
منك . . فعبشى إذا شئت بهذا الأمل ،
وانسى هذا الرجل الآن . . اتسبه أو
افعل ما شئت ، ولكن لا تعترضى شريعة
الله ! . .

أديلا : اسكنى . . ؟

- لابونثيا : لن أسكت !
- أديلا : دعى ما لا يعينك من أمرى واهتمى
بشئونك أيتها اللثيمة المتطفلة ! .:
- لابونثيا : سأكون ظلك الذى يتبعك أينما كنت .
- أديلا : لقد كان أحرى بك أيتها العجوز
القدرة أن تنظفى المنزل ثم تأوى إلى
فراشك مصلية على أرواح أمواتك
بدل أن تتقصى آثار الرجال والنساء
لكى تلوكى سبهم وتخوضى فى
أمورهم . .
- لابونثيا : انظرى . . إذا كنت أفعل فإنما لكى
لا أرى الناس يصبغون على هذا البيت إذا
مروا ببابه .
- أديلا : أى حب هذا الذى هبط عليك فجأة
نحو أختى ؟
- لابونثيا : أنا لا أفرق بين واحدة منكن وأخرى

وإنما أريد أن أقضى ما بقي لى من
أيام عمرى فى بيت شريف . . لست
أريد أن أتلطخ بالعمار بعد أن بلغت
من السن غايته . .

:

: إن نصائحك غير ذات جدوى . .
ولست أقول إننى سأخطأك أنت -
وما أنت إلا مجرد خادمة - بل سأخطئى
أى من أجل إطفاء تلك النار التى
تشتعل فى ساقى وشفتى . . فما الذى
تستطيعين القول عني ؟ إننى أغلق
على باب غرفتى ولا أفتح الباب
لأحد ؟ إننى لا أنام ؟ إننى أذكى
منك وأمكر ! . . . فانظرى إذا
كنت تستطيعين أن تفتنصى الأرنب
البرى بكفيك !

أديلا

: لا تتحدينى . . . لاتحدينى ، فإنى أستطيع

لابونشيا

أن أملاً الجو بالصياح ، وأن أشعل
الأضواء ، وأدق الأجراس . :

أديلا : هاتي إذن أربعة آلاف صاروخ أصغر
وأطلقها على سقف الحظيرة .. لن
تستطيع قوة في الأرض أن تقف في
وجه ما سوف يحدث ..

لابونيا : أيعجبك هذا الرجل إلى ذلك الحد ؟

أديلا : إلى هذا الحد . إنتى أشعر وأنا ناظرة
... إلى عينيه أننى أمتص دمه فى بطء .

لابونيا : لست أسمع ما تقولين .

أديلا : إذن ستمعينى الآن جيدا .. لقد
كنت أشعر بالخوف منك ، ولكنى الآن
أقوى منك [تدخل أيجوستياس] .

أنجوستياس : ألا تكفان عن الشجار ؟

لابونيا : وماذا أفعل ؟ وهى تربدنى فى هذا الحر

على أن أخرج لأشترى لها من السوق
لا أدري ماذا ؟

أنجوستياس : بهذه المناسبة هل اشتريت لى علبة
المطر ؟

لابونثيا : أعلى ما وجدت ، وكذلك المساحيق ،
وقد وضعت الجميع على مائدة غرفتك
[تخرج أنجوستياس]

أديلا : حذار أن تنفوهى بشيء !

لابونثيا : هذا أمر سنراه بعد !

[تدخل مارتيريو وأمیلیا وماجدالينا]

ماجدالينا : [مخاطبة أديلا] - أ رأيت تطيريز الثياب ؟

أمیلیا : إن تطيريز ملاءات أنجوستياس ليوم
زفافها جاء رائعا .

أديلا : [مخاطبة مارتيريو وهي تعمل في يديها شرائط
قطريز] وهذه ؟

مارتيريو : إنها لى . . لتزيين أحد قصاصى :

أديلا : [في سخرية] لعلك تمزحين ، فما أظنك
تلبسين مثل هذا . .

مارتيريو : [في لهجة تنطوى على التعريض والتورية] . .
إنما ألبسه لأرى نفسى به ، فلست
محتاجة إلى عرض جسدى على أحد :

لابونثيا : ما من فتاة يراها أحد في قيصها الداخلى .

مارتيريو : [ناظرة إلى أديلا في تعريض] . . قد يحدث

أن يراها بعض الناس . أما أنا فتعجبني
الملابس الداخلية ، ولو كنت غنية
لاشتريتها من النسيج المولندى الرقيق ،
فهى بعض ما بقى لى من هواياتى .

لابونثيا : إن هذه الشرائط جميلة « لطلواقى » الأطفال

أو للفافات التعجيد ، وأما أنا فما استطعت
أبدأ تزيين ثياب أبتائى بها ، فلعل
أنجوستياس تتمتع الآن بها في ثياب
أطفالها ، ولو أنه خطر لها أن تنجب
كثيراً من الأبناء فلتتجهزن للعمل في
خياطة تلك الشرائط صباح مساء .

ماجدالينا : مهما كان الأمر فإنى لست مستعدة
لخياطة شىء .

أميليا : وأما أنا فأزهد فى تربية أبناء غيرى .
ألا توبين ما تقاسيه جارائنا من أجل أربعة
أطفال يستثيرون الاشمزاز .

لابونثيا : هؤلاء الجارات خير منكن : : ويكفهن
أن بيتهن لا يخلو من الضحك أو العراك :

مارتيريو : اذهبي إذن لتخدمى هناك :

لابونثيا : لا ، فقد شاء لى الحظ أن أعيش فى
هذا الدير .

[يسمع صوت أحراس بعيدة كأنما هى قادمة من
وراء عتبة حدران]

ماجدالينا : هم الرجال الذين يعماون فى الحقول
عائدين بعد الانتهاء من العمل . .

لابونثيا : لقد دقت الساعة الثالثة منذ دقيقة واحدة :

مارتيريو : والشمس مازالت تحرقى ظهر الأرض .

أديلا : [جالسة] - آه .. لو كنت أستطيع
الخروج إلى الحقول !

ماجدالينا : [جالسة] .. كل امرئ وما خلق له !

مارتيريو : [تجلس أيضا] .. هكذا ينبغي أن يقال !

أميليا : [تجلس كذلك] .. آى .

لابونثيا : إن خير وقت للتمتع بهجة الحقول

وعمراتها هي هذه الأيام ، لقد وصل

في صباح أمس أربعون أو خمسون

فتى من خيرة الفتيان .

ماجدالينا : من أين أتوا هذا العام ؟

لابونثيا : من مكان بعيد .. قدموا من الجبال ، وهم

مرحون لا تفارق وجوههم الابتسامة ،

مفتولوا الأجسام كأنهم جذوع شجر لوحثها

أشعة الشمس ، لا يكفون عن التصايح

والتقاذف بالأحجار . وقد وصلت ليلة

الأمس إلى البلد امرأة ترقص على

نغمات «أكورديون» وهي مرتديه ثوبا

من الخرز ، فتعاقد معها نخسة عشر
فتى منهم لكي يحملوها إلى أشجار
الزيتون ، وقد رأيتهم من بعيد ، أما الذى
كان يفاوضها فى الأمر فقد كان غلاما
ذا عيون خضر مهزولا كأنه حزمة من
عيدان القمح اليابسة .

٤١

أميليا : أتترى ذلك صحيحا ؟

أديلا : ولم لا ؟ إنه أمر ممكن .

لابونيا : لقد قدمت واحدة من هؤلاء فى إحدى
السنوات الماضية ، وقد أعطيت بنفسى
لابنى الأكبر نقودا لكي يذهب معها . .
إن الرجال يحتاجون إلى مثل هذا . .

أديلا : كل هذه الأشياء .تغتفر للرجال .

أميليا : إن شر عقاب يصيب المرأة هو أنها
تولد امرأة .

ماجدا لينا . : حتى أبصارنا لا نستطيع التصرف فيها
كما نشاء .

[يسمع صوت غناء من بعيد ثم يقترب للصوت
وينضح شينا فشينا] .

لابونثيا : هم هولاء .. يترنمون بأغاني غريبة
رائعة .

أميليا : لقد خرجوا الآن للحصاد .

أصوات الجوقة : ها قد خرج الحاصدون ..^٢

يبحثون عن سنابل القمح .

وهم يحملون معهم قلوب العذارى .

ممن يتأملهم في طريقهم .

[تسمع أصوات دفوف وطبول مع الغناء ثم يتخفص
الصوت ويمتد ، بينما تسود لحظة صمت تنصت
الحاضرات فيها إلى الغناء الجيد]

أميليا : ولا يبالون بهذا الحر اللافت !

مارتيريو : إنهم يعصدون حتى بين السنة اللهيبة .

أديلا : ليتني أستطيع الحصاد ، حتى أذهب

وأجىء وأنسى ما يجثم على قلبي من
هموم !

مارتيريو : وأى هم تريدين نسيانه ؟
أديلا : كل واحدة منا أعلم بما لديها .
مارتيريو : [في صوت عيى] .. كل واحدة ! ..
لابونثيا : اسكّن ..

أصوات الجوقة : [من بيد] : افتحن الأبواب والنوافذ
أيتها المقيّات في هذه القرية .
واسمعن نداء الحاصد
وهو يطلب وروداً يزين بها قبعته .

لابونثيا : ما أجمل هذا الغناء !
مارتيريو : [في حنين تردد] : افتحن الأبواب
والنوافذ .

أيتها المقيّات في هذه القرية ..
أديلا : [في انفعال تكلم] : . واسمعن نداء
الحاصد .

وهو يطلب وروداً يزين بها قبعته :
[يبتعد الصوت حتى يختفى]

لابونثيا : لقد دارت جماعتهم الآن حول ناصية الشارع .

أديلا : تعالين نراهم من نافذة غرفتي .

لابونثيا : لا تفتحن النوافذ كثيراً فإني أظنهم قادرين على الوثوب إليها ليروا من ينظر إليهم . [تذهب ماجدالينا وأديلا ولابونثيا وتبقى أميليا ، وأما مارتيريو فظل جالساً على كرسي منخفض ورأسها بين يديها]

أميليا : [مقتربة من مارتيريو] ماذا بك ؟

مارتيريو : شدة الحر تهد من قوتي دائماً .

أميليا : أهذا كل شيء ؟

مارتيريو : لشدما أتمنى أن يأتي شهر نوفمبر أو موسم المطر أو الصقيع أو أى شيء غير هذا الصيف الذى لانهاية له .

أميليا : سيفتقضى الصيف ثم يعود مرة أخرى .

مارتيريو : [فاضحاً] - نعم . . نعم . . أعرف ذلك

[ثم بغيرة وجهة الحديث بعد فترة صمت]

- في أى ساعة نمت ليلة الأمس ؟
- أميليا : لست أذكر : إننى أنام كأنى جذع شجرة .. لماذا ؟
- مارتيريو : لآشياء ، غير أنه بدا لى أنى سمعت أصواتا فى الحظيرة .
- أميليا : أصوات ؟ ! ..
- مارتيريو : نعم .. وفى وقت متأخر جدا .
- أميليا : ولم تشعرى بالخوف ؟
- مارتيريو : لا .. لقد تعودت عليها ، فقد سمعت مثلها فى ليالى أخرى .
- أميليا : يجب أن نحتاط للأمر ، فربما كانوا
- لصوصا من بين هؤلاء الحاصدين .
- مارتيريو : إن الحاصدين لا يصلون إلا فى الساعة السادسة ..
- أميليا : أو لعلها بغلة جموح لم تستأنس بعد ..
- مارتيريو : [فى لهجة لما مغزى والألفاظ تخرج من بين أسنانها] .. هو هذا .. بغلة جموح ! .

أميليا : لعل من الخير أن نعيط الجميع علماً بما
يحدث حتى نحتاط لما عسى أن يكون .

مارتيريو : لا . . لا . . لا تقولى شيئاً عن ذلك ،
فربما كانت أوهاماً منى لا أساس لها من
الحقيقة .

أميليا : ربما . . [لحظة صمت . . توجه بعدها أميليا
للخروج] .

مارتيريو : أميليا !

أميليا : ماذا ؟

مارتيريو : لا . . لا شئ . [لحظة صمت] .

أميليا : لماذا ناديتنى ؟

مارتيريو : لا أدرى لماذا . . لقد انطلقت منى دون
شعور . . [لحظة صمت] .

أميليا : لعل الأفضل أن تتمدى قليلاً حتى تأخذى
قسماً من الراحة .

أنجوستياس : [تدخل فى حالة هياج شديد والكلمات تتناثر

من شفتها [أين صورة « بيبي » التي كانت
تحت وسادتي ؟ من منكن أخذتها ؟

مارتيريو : لا أعرف شيئاً . .

أميليا : إنك تهتمين بصورة « بيبي » كما لو كانت
تمثالاً من الفضة لأحد القديسين .

أنجوستياس : أنا أسأل : أين الصورة ؟ [تدخل لابرونيا
وماجدالينا وأديلا] .

أديلا : أى صورة ؟

أنجوستياس : واحدة منكن قد سرقها وخبأتها .

ماجدالينا : ألدريك من الصفاقة ماتهمينا معه بذلك ؟

أنجوستياس : لقد كانت الصورة فى غرفتى ، ثم لم
يعد لها أثر . .

مارتيريو : ولم لا تكون قد هربت فى منتصف

الليل إلى الحظيرة ؟ إن « بيبي » يعجبه
التجول فى الليالى المقمرة .

أنجوستياس : ليس هذا وقت المزاح . . وسوف أخبر
« بيبي » بالأمر حينها أراه . .

لابونثيا : لا . . لا تفعل ذلك ، فالصورة ستظهر
لا محالة . . [ثم ترمق أديلا بنظرة تشكك]
أنجوستياس : ما أشد شوقى إلى معرفة من منكن أخذت
الصورة !

أديلا : [تنظر إلى مارتيريو] واحدة منا ، أو
الجميع فيما عداى .

مارتيريو : [بلهجة تعريض] بلا شك ! [تدخل برناردا]
برناردا : ما هذه الفضيحة التى تثرنها فى بيتى ،
وفى سكون هذا القبيظ ؟ بينما تلصق
الجارات آذانهن بالجدران ليتسمعن
ما يدور بينكن .

أنجوستياس : لقد سرقن منى صورة خطيبي .

برناردا : [فى ثورة] من منهن ؟ من هى ؟

أنجوستياس : لا أعرف . كلهن .

بارناردا : من منكن سرقت الصورة ؟ [صمت]
أجبننى ! [صمت ، ثم توجه إلى لابونثيا]

فتشى جميع الغرف ، وانظري في جميع
- الأسرة . . إن هذه هي نتيجة تساهلي
معكن . . سترين الآن . . [تلتفت إلى
أنجوستياس] ولكن هل أنت متأكدة ؟

أنجوستياس : نعم .

برناردا : هل فتشت جيدا في غرفتك ؟

أنجوستياس : نعم يا أمي . [يقف الجميع في جو من الصمت
والحرج ..]

برناردا : أهكذا تبعرعنتي .. وأنا في أيام الأخيرة
من كتوس السم أمر ما قضى على أم أن
تتجرعه ؟ [تنجبه إلى لابونيا التي تدخل في
هذه اللحظة] هل وجدتها ؟
[وفي يدها الصورة]

لابونيا : ها هي ذى !

برناردا : أين كانت ؟

لابونيا : [مترددة] .. كانت ..

برناردا : قولي ولا تخشى شيئا .

لا بونثيا : [وهي لا تغف استغرابا] .. بين الملاءات

والأغطية على سرير مارتيريو .

برناردا : [تغالب مارتيريو] .. أهذا صحيح ؟

مارتيريو : نعم .. صحيح .

برناردا : [تتقدم في غضب وتنهال عليها ضربا] .. ألا

قيض لك الله من يوجهها إليك طعنة

قاتلة .. أيتها الذبابة الميتة .. يا ناشرة

سموم الفتنة !

مارتيريو : [في عياج] .. لا تضربيني يا أمي !

برناردا : سأضربك حتى تكمل يداي ..

مارتيريو : هذا إذا تركتك .. أسمعين ؟ فكفى عن

ذلك .. خير لك ! ..

لا بونثيا : حذار من أن تتعدى على أمك ..

أنجوستياس : [حاضرة بين مارتيريو وأنها] .. دعها من

فضلك يا أمي ..

برناردا : حتى الدموع لم تبق منها بقية في عينيك !

مارتيريو : لن أبكي حتى أحرمك من التمتع بذلك !

يرناردا : لماذا أخذت الصورة ؟
مارتيريو : أحرام أن أوجه إلى أختي دعابة ؟
وما يهني أنا من أمر الصورة ؟

أديلا : [وقد انفجرت ثورة غيرتها] .. لا .. لم تكن
دعابة ، وما كنت أبداً ممن يألف هذا
النوع من الدعابات .. وإنما كان شيئاً
يضطرب في صدرك حتى انطلق على
الرغم منك .. اعترفي بذلك في صراحة .

مارتيريو : اسكتي أنت ولا ترغميني على الكلام ،
فلو أني قلت بعض ما أعرف لانطبقت
الجلدران بعضها على بعض من هول
الخرزي والعار ..

أديلا : إن لسان السوء لا نهاية لما يختلق من
أكاذيب .

يرناردا : أديلا !

ماجدالينا : لقد جنننا .

أميليا : وأصبحنا ترجماننا بظنون السوء ..

مارتيريو : غيرى تتجاوز ظنون السوء إلى
أبشع الأعمال .

أديلا : .. حتى يتعريين من ثيابهن ويحملهن تيار
النهر ..

برناردا : .. رقيقة !
أنجوستياس : ليس ذنبى أن يكون « بيبى إل رومانو »
قد خطبني أنا دونكن .

أديلا : من أجل مالك !

أنجوستياس : أماه .

برناردا : اسكتي !

مارتيريو : من أجل أرضك ومزارعك .

ماجدالينا : تلك حقيقة لا شك فيها .

برناردا : اسكنن جميعا .. لقد كنت أشعر بقرب

هبوب العاصفة ولكنني لم أكن أتوقع

أن ذلك أقرب مما أتصور .. أى حقد

هذا الذى ملاً قلوبكن حتى أسلتن على

قلبي فيض بركانه .. ولكنني لم أظعن في

السن بعد .. ولدى خمس سلاسل أعرف
 كيف أحكم بها قيادكن ، ثم هذا البيت
 الذى بناه أبى لكى أدفن فيه آلاى
 وأستر رزيتى حتى عن أعشاب الأرض..
 أخرجن من هنا جميعاً [يخرجن وتهاك
 برناردا. على مقعد فى حزن وانكسار ، بينما تظل
 لابونثيا واقفة إلى جوار الحائط ، ثم تتلمسك
 برناردا نفسها وتدفق على الأرض بقدمها وتقول :]
 على أن أكف أيدى بعضهم عن بعض ..
 [تخاطب نفسها] لتذكرى أن هذا واجبك
 يا برناردا .

- لابونثيا : أستطيع الكلام ؟
 برناردا : تكلمى .. وإنى آسفة لأنك سمعت
 ما قلن ، إذ لا يحسن أن يطلع الغرباء على
 أسرار عائلة ٥
 لابونثيا : لقد رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ،
 وقضى الأمر ؛
 برناردا : الأصلىح ، وأن تزوج أنجوستياس على الفور ٥

- لابونثيا : بلا شك ، فمن الخير أن تترك هذا المنزل .
- برناردا : إنما أعني أن نبعده هو عن هنا ..
- لابونثيا : طبعاً ، علينا أن نبعده كذلك عن هذا
المنزل ، لقد أحسنت التفكير ..
- برناردا : أنا لا أفكر ، فهناك أشياء لا تحدث
التفكير .. وإنما أنا أمر .
- لابونثيا : ولكن .. أتعتقدين أنه سيبتعد طائفاً
عن هنا ؟ ..
- برناردا : [ناهضة] - ما الذي يدور في رأسك ؟
- لابونثيا : لا شيء .. إنه سيتزوج طبعاً من
أنجوستياس ..
- برناردا : تكلمي .. إنني أعرفك جيداً ، وأعلم
من تجاربي معك أنك قد أعددت لي
السكين ..
- لابونثيا : لم أعتد أبداً أن إسداء النصيح والتحذير
جريمة .
- برناردا : ألدريك ما تحذرينني منه ؟

لابونثيا : أنا لا أتهم يا برناردا .. فقط أقول لك :

افتح عينيك وسترين !

برناردا : سأرى ماذا ؟

لابونثيا : لقد كنت دائما ذكية حاضرة الذهن ،

وطالما تكشفت لك شرور الناس وهم منك

على بعد مائة ميل .. وكثيراً ما كنت أعتقد

أنك تقرأين أفكار الناس .. ولكن الأبناء

هم الأبناء .. وأنت الآن عنهم عمياء ..

برناردا : هل تشيرين إلى مارتيريو ؟

لابونثيا : آه .. مارتيريو ؟ إن ما صنمته هذه أيضا

يدعو إلى التساهل . [في حب استطلاع] .

ترى ما الذى حملها على إخفاء الصورة ؟

برناردا : [مارة تغطية ابتها] — على أية حال ،

لقد سمعتها تقول إنها كانت دعابة ..

وإلا فأى شيء آخر يمكن أن تكون ؟

لابونثيا : [بيضاء وفي نبرة سخرية] — أتصدقين أنت

هذا ؟

برناردا : [فاشدة وحفاف] - لست فى حاجة إلى
تصديق أو تكذيب ، فقد كانت بالفعل
دعابة لا أكثر من ذلك .

لايونشيا : طبعاً .. لأن الأمر يتعلق بابنتك أنت ،
ولو كانت بنت الجارة المواجهة فإذا
كنت تقولين ؟

برناردا : ها قد بدأت تخرجين لى طرف السكين ..

لايونشيا : [فقسوة] .. اسمعى يا برناردا .. شىء
هائل يحدث الآن فى هذا البيت ، وأنا
لا أريد أن ألقى كل تبعه ما يحدث عليك
أنت ، فإنك لم تتركى أى نصيب من
الحرية لبنتك . فارتيريو مثلاً ضعيفة
سريعة الانزلاق فى الحب مهما بدا لك
أن تقولى عنها . لماذا لم تدعها تزوج من
إنريكى أو ماناس ؟ لماذا أرسلت إليه
تمنيه من القدم فى نفس اليوم الذى
أراد أن يأتى فى مساندة إلى نافذتها لكي
يتحدث إليها ؟

برناردا : لو أن ذلك تكرر الآن ل فعلت ما فعلته

عندئذ ألف مرة . فإن دى لن يمتزج
بدم بيت « أوماناس » أبداً طالما كنت
على قيد الحياة . إن إياه كان عاملاً أجبراً .

لابوتشيا : ولهذا يتصاعد دخان الكبر من منخريك ؟

برناردا : إذا كنت أنكبر فلأن لدى من الحساب

ما أنكبر من أجله ، أما أنت مثلاً
فلا تستطيعين لأنك تعرفين جيداً ما هو
أصلك .

لابوتشيا : [في حقد مكبوت] — لا تذكريني بذلك

وأنا في نهاية العمر ، ولقد شكرت لك
دائماً حسن رعايتك وحمایتك ..

برناردا : [وقد تزايد كبرياؤها] — لا يبدو ذلك .

لابوتشيا : [في صوت ناعم تكن فيه الكراهية] — أما

مارتيريو فإنها سوف تنسى كل ذلك ..

برناردا : وإذا لم تنسه فشر لها . ولكن .. لست

أظن أن هذا هو الشيء الهائل الذى قلت

لى إنه يحدث فى هذا البيت .. وأنا أقول
لك إنه لا يجرى أى شىء هنا ، وإن
كنت أنت تتمنين أن يحدث الكثير !
ولو وقع شىء فى يوم من الأيام فإن نبأه
لن يتجاوز هذه الجدران .

لابونيا : هذا ما لا أستطيع أنا أن أوكدّه .. فإن
فى هذا البلد ناسا مثلك يقرأون الأفكار
الخفية أيضا من بعد .

برناردا : أى سرور شيطانى يغير قلبك إذ رأيتنى
أنا وبنائى فى الطريق إلى بيت البغاء ؟ !

لابونيا : وفحتد لا تستطيع كتابه [- ليس هناك
من يعرف إلام سببتهى مصيره !

برناردا : أما أنا فأعرفه تمام المعرفة ! وأعرف
كذلك مصير بنائى ! وأما بيت البغاء
[فى لغة تعريض بأى « لابونيا »] فقد بقى
لنساء أخريات أصبحن الآن ترابا
فى القبور !

لابونثيا : أتعرضين لى بأى . . برناردا ، احترى
قليلًا ذكرى امرأة مبيته !

برناردا : وأنت لا تطاردينى بأوهامك السيئة .
[لحظة صمت]

لابونثيا : من الخير لى ألا أقحم نفسى فى شىء .

برناردا : هنا ما كان ينبغى عليك أن تفعلى . .
العسل والسكوت عن كل شىء وهو
واجب كل خادم أجير .

لابونثيا : ولكن السكوت يصبح مستحيلًا فى
بعض الأحيان . ألا ترين مثلاً أن لبيى
كان من الخير له أن يتزوج من
مارتيريو . . أو من . . أدىلا ؟

برناردا : لا . . لا أرى ذلك .

لابونثيا : أدىلا . . إنها أصلح عروس لبيى
من رومانو من بين بناتك .

برناردا : ليس من اللازم أن تجرى الأمور على
ما تهوى . .

لابونثيا : ولكن الأشياء إذا لم تجر في طرقها
الطبيعية فإن تغييرها يكلف كثيراً من
العناء . وأن شخصياً لا يعجبني أن
يتزوج بيبي من أنجوستياس ولا يعجب
ذلك أحداً من الناس . . بل لا يعجب
المواء نفسه ، ومن يدرى . . فلعل هذا
الزواج لا يتم !

يرناردا : ها نحن مرة أخرى في هذا الجدل
العقيم ! . . ما أنجبت لسانك هذا الذي
لا يلبث أن ينزلق مرة أخرى لكي
يوزقني بشتى الأحلام المزعجة . إنى
لا أريد أن أستمع إليك ، إذ لو أنني
توصلت إلى ما تقصدان من وراء هذا
الحديث لأوجعت ضربك .

لابونثيا : خفضي عليك . . فليس الأمر إلى هذا
الحد من الخطورة .

برناردا : من حسن حظى أن بناتى يحترمنى ولم يفكرن أبداً فى عصيان أوامرى .

لابونثيا : هذا صحيح . . طالما قت على حراستين ، فلو تهونت فى ذلك قليلا فإنهن سيصعدن عنك إلى سطوح المنازل مثل القطة !

برناردا : وأنا كمنيلة بإنراخن منقبية عليهن بالأحجار !

لابونثيا : [فى ملق مصطنع] - ليس هناك شك فى أنك أشجع النساء .

برناردا : [فى زهو] - هكذا كنت دائما ! . .

لابونثيا : ولكن . . هناك أشياء عجيبة حقا : فأنجوستياس ولما من العمر ما لما تبدو شديدة الحماس لزواجها كأنها فتاة مراهقة ، وهو لا يبدو أقل منها حماساً ، ولقد أخبرنى ابنى الأكبر أنه حين مر من هنا فى الساعة الرابعة والنصف من

ليلة أمس في طريقه إلى الحقل - رأهما
يتحدثان حتى ذلك الوقت .

برناردا : [في دهشة] - حتى الرابعة والنصف
صباحاً ؟

أنجوستياس : [مفتحة الفم] - هذا كذب !

لابوثيا : هذا هو ما حدثتُ به .

برناردا : [مخاطبة أنجوستياس] - تكلمي أنت .

أنجوستياس : إن يبني منذ أكثر من أسبوع يغادر
نافذتي في طريقه إلى منزله في نحو الساعة
الواحدة . أمانتي الله إن كنت كاذبة !

مارتيريو : [وهي داخلة إلى المسرح] - أنا كذلك
أحسست به يذهب حوالى الساعة الرابعة .

برناردا : ولكن أرايته أنت بعينيك ؟

مارتيريو : لم يخطر ببالي أن أطل عليهما وهما

يتحدثان . [متجهة إلى أنجوستياس] ألسنا
تتكلمان الآن من خلال النافذة المطلة

على الدرب الجانبي ؟

أنجوستياس : بل من نافذة غرفتي [تظهر أدبلا بالباب]

مارتيريو : إذن . . . ؟

برناردا : ماذا تقان ؟ ما الذى يجرى هنا ؟

لابونثيا : تحققى من صحة الأمر فى ذلك . . . ولكنى

أستطيع أن أوكد أن يبي كان هنا
قريباً من إحدى نوافذ بيتك حتى
الساعة الرابعة من فجر اليوم .

برناردا : أتعلمين هذا علم اليقين ؟

لابونثيا : ليس هناك شئ فى هذه الحياة يُعلم
علم اليقين .

أديلا : لا تستمعى يا أمِّ إلى من لا يتحنى لنا
جميعاً إلا الشر .

برناردا : سأعرف كيف أطلع على جلية الأمر ،

وإذا كان أهل البلد يريدون أن يصطنعوا
أقاويل أو يأتوا بشهادات زور فأنا ماثلة
هنا كالصخرة تتحطم دونها أمواج
الافتراءات . وكثيراً ما عمد بعض الناس

هنا إلى إثارة مثل هذه الأمواج من الوحل
حتى يفرقونا فيها .

مارتيريو : فلتكوني على يقين من أنني لا أكذب .

لابونثيا : وأنا أقول إن شيئاً ما يحدث هنا .

برناردا : [ف حدة] ليس هناك شيء . . ولن

يكون . . لقد ولدت لكي تكون عيناى

مفتوحتين دائماً . . والآن سأكون على

حذر ولن أغلق عيني أبدا حتى أموت .

أنجوستياس : إن من حق أن أعرف حقيقة مايجرى . .

برناردا : ليس من حثك إلا أن تطيعى ما تؤمرين

به . ولست أنا التي تذهب بها كلمة وتأتى

بها كلمة [بل لابونثيا] أما أنت فليس لك

شأن إلا بما هو واجبك من رعاية شئون

البيت . ولتعلمن جميعا أنه لن يستطيع

أحد فى هذا المنزل أن يخطو خطوة

إلا بعلمى وبموافقتى !

الخادمة : [تدخل لاهفة في هذه اللحظة] - في رأس
الشارع جمهور كبير ، وجميع الجيران قد
خرجوا إلى أبواب بيوتهم ينظرون !

برناردا : [في فضول إلى لاونثيا] - اذهبي بسرعة
لتعرفي جلية الأمر . [يجري الجميع للخروج]
وأنتن .. إلى أين تذهبن ؟ لقد عهدتكن
دائما نساء مغردات بالوقوف لدى النوافذ
دون نظر إلى احترام رسوم الحداد ! ..
اذهبن إلى الفناء ولا تتحركن من هناك !
[يخرجن حيفا وبسبح لفظ بعيد في الخارج ، تدخل
مارتيريو وأديلا ويبقيان وحدهما دون أن تجرؤ
إسداءا على تتحرك إلى باب الخروج]

مارتيريو : أحمد الله على أنني لم أطلق لساني !

أديلا : وأنا أيضا كنت أستطيع أن أتكلم .

مارتيريو : وما الذي كنت تستطيعين أن تقولي ،

رغبتك في أن تتكلمي شيء والقدرة على

الكلام شيء آخر !

- أديلا : والكلام شيء ، والعمل شيء ، آخر فالذي
يعمل هو الذي يستطيع ، وهو الذي
يسبق غيره ، وأنت كنت تريدين ..
ولكنك لم تقارى ! ..
- مارتيريو : لن يظل الأمر في طي الكتمان زمنا
طويلا ..
- أديلا : سأظفر بكل ما أريد .
- مارتيريو : لأكرم ذراعيك قبل أن تعودى إلى
معانقته ..
- أديلا : [تغبر لمحتها وتقول في رنة استعطاف] :
مارتيريو .. اتركينى وشأنى !
- مارتيريو : هذا لن يكون !
- أديلا : إنه يريدنى أنا لازواج !
- مارتيريو : لقد رأيتك وأنت تعانقينه !
- أديلا : إنى لم أكن أريد .. غير أنى كنت أشعر
كأننى مجرورة إليه بحبل .
- مارتيريو : أفضل أن أراك جثة هامدة على أن يعود

هذا إلى التكرار .

[تبدو بالبواب ماجداليا وأنجوستياس ، الغلط

يزداد في الخارج]

: [تدخل هي وبرناردا] — برناردا !

لابونثيا

: ما هناك ؟

برناردا

: إنها ابنة « لبرادا » العازبة .. أتت بولد

لابونثيا

لا يعرف أحد من هو أبوه !

: ولد ؟

أديلا

: وقد أرادت أن توارى عارها ، فقتلته

لابونثيا

ودفنته هناك بين بعض الأحجار .. ولكن

بعض الكلاب التي وهبها الله من الرحمة

مالم يهبه لأمه أخرجته من هناك ثم حملته

إلى باب تلك المرأة كما لو كانت يد الله

تهديها إلى حيث تترك جثة الطفل الميت ،

وأهل القرية يريدون الآن قتلها ، وهم الآن

يعيرونها على وجهها في الشارع ، أما الرجال

فإنهم قادمون الآن من حمقول الزيتون

ولحم جليلة وضجيج تكاد ترتجف منهما
المروج ..

برناردا : نعم .. ليأت الجميع وفي أيديهم فروع
الزيتون والمحارف ، وليشبعوها ضربا
حتى يقتلونها !

أديلا : لا .. لا .. ما كان لهم أن يقتلونها !

مارتيريو : بل هذا هو ما يجب أن يفعلوا .. ولنخرج
نحن أيضا لثشهد معصرعها .

برناردا : إن هذا هو الجزاء الحق لكل من وطئ*
شرفة .. [تسمع في الخارج صرخات امرأة
وأصوات مختلفة تنبعث من جمهور عظيم]

أديلا : ليتركوها وشأنها .. وأنن لا نخرجن
ولا شأن لكن بها ..

مارتيريو : [ناظرة إلى أديلا] - دعها تدفع ثمن
ما ارتكبته من جريمة ..

برناردا : [مظنة على الجماهير] - اقللونها بسرعة

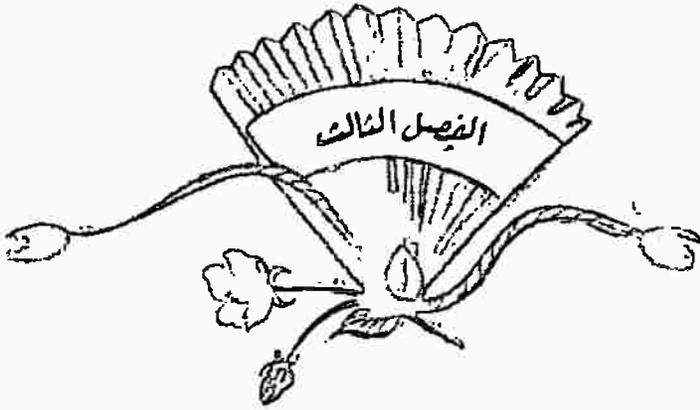
قبل أن تستنقذها منكم أيدي الشرطة ..
وأشعلوا النار في مكان خطيئتها ..

أديلا : [صارخة وهي تمسك ببطنها] - لا .. لا .. لا ..
لا تفعلوا ..

برناردا : اقتلوا الفاجرة .. اقتلوها ! ..

(سار)





[أربعة جدران بيضاء مشوية بلون أرقق خفيف في الفناء الداخلي
 لنزل برناردا ألبا . الوقت ليل . المنظر يندى أن تتسم خطوطه بالبساطة
 التامة . أما الأبواب فإنها مضاءة إضاءة حنيئة تنمت من داخل الغرفة .
 وفي الوسط مائدة عليها مصباح غازي كبير ، برناردا وبثانها جالسات
 يتناولن طعام المشاء ، وتقوم على خدمتهن لاثونيا ، وبقرهن برودنشيا
 جالسة على كرسي بجوار برناردا . عند رنح الستار يسود صمت مطبق
 لا يقطعه بين لحظة وأخرى إلا صوت الأطباق] .

برودنشيا : آن لي أن أذهب ، فقد أطلت عليكم

الزيارة [نهنس للذباب] .

برناردا : انتظري قليلا . . فقد مضى وقت طويل
 لم أرك فيه .

برودثيا : هل سمعتم دقات الأجراس الأخيرة
لقراءة الأوراد ؟

لابوثيا : لا . . لم نسمعها بعد [برودثيا تموداك
الجنوس ! .

برناردا : وزوجك . . كيف هو الآن ؟

برودثيا : كما هو . . ليس هناك من جديد .

برناردا : لم نره منذ زمن .

برودثيا : أنت تعرفين طباعه . إنه منذ أن تنازع
مع إخوته من أجل التركة لم يخرج من
باب المنزل قط وفاء بالقسم الذى قطعه
على نفسه ، فهو يضع سلماً على الباب
الخالق وينزل منه متخطياً الحظيرة
وجدران اندار . .

برناردا : إنه لرجل حقاً ! . . وابنك ؟

برودثيا : لم يغفر لها ما فعلت حتى اليوم . .

برناردا : لقد أحسن صنعا .

برودنيا : لست أدرى ماذا أقول لك . . إني
أقاسى الكثير من أجل ذلك .

برناردا : إن البنت التى تعصى أمر والديها لا يمكن
أن تعتبر بنتا لأمها وإنما هى عدوة صريحة .

برودنيا : لقد وطنت نفسى على أن أدع الماء يجرى
إلى حيث قدر الله له أن ينتهى . . ولم
يبق لى بعدُ عزاء إلا اللجوء إلى صلواتى
فى الكنيسة ، وحتى ذهابى إلى الكنيسة
أظن أنى سوف أنقطع عنه ، إذ أن
بصرى يضعف كل يوم . . ولست
أريد أن يعيث بي الصبيان [يسمع صوت
دقات عالية على الجدار] . . ما هذا ؟

برناردا : إنه حصان التناج قد أغلقوا عليه ، فهو
لا يتفك يدق الأرض والجدران
بقوامه . . [تلتفت إلى الخارج وتصيح بصوت
مرتفع] قيوده ودعوه يخرج إلى الحظيرة ؛
[ثم تستطرد فى صوت خفيض] لا بد أن
شدة الحر تضايقه .

- برودنشيا : أتتوون أن تتركوا له الأفراس الجديدة ؟
- برناردا : نعم . في صباح الغد .
- برودنشيا : لقد عرفت كيف تضاعفين عدد مواشيك . . .
- برناردا : ولكن بكثير من الثنقات والتضحيات . . .
- لابونشيا : [تقاطعها] - ولكن قطيعها الآن هو خير ما في هذه النواحي . . . لولا أن أسعار الماشية الآن منخفضة لسوء الحظ .
- برناردا : أتريدين قليلا من الجبن والعلس ؟
- برودنشيا : ليس لدى شبيهة الأكل الآن . . . [يتكرر صوت الدق على الجدران]
- لابونشيا : يا إلهي ! . . .
- برودنشيا : لقد كاد هذا الدق يمزق أحشائي . . .
- برناردا : [تنهض غاضبة] - ألا يمكن أن تنفذوا أمراً إلا إذا كررته مرتين ؟ اتركوه يتمرغ على أكوام التبن . . . [لحظة صمت ثم تواصل الحديث متجهة إلى الخارج كما لو كانت تتحدث مع خادم الخظيرة] أدخلوا الأفراس

إلى الحظيرة وأقبلوا عليها ، واتركوه
طليقاً . . فإنه يوشك أن يهدم على
رؤوسنا جدران البيت . [ثم تتجه إلى المائدة
وتعود إلى الجلوس] . آه . . يا لها من
حياة ! . .

برودنثيا : ما أقواك يا برناردا . . تأمرين وتنهين
كما لو كنت رجلاً ! . .

برناردا : نعم . . هو ذاك [تنهض أديلا عن المائدة] إلى
أين تذهبين ؟

أديلا : سأشرب كوباً من الماء . .

برناردا : [إلى لايرنثيا في صوت عال] — هاتي دورق
ماء بارد [ثم تتجه إلى أديلا] وأنت يمكنك
أن تجلسي [أديلا تعود للجلوس] .

برودنثيا : وأنجوستياس . متى ستزوج ؟

برناردا : سيأتون لخطبتها خلال ثلاثة أيام .

برودنثيا : [تغاطب أنجوستياس] — لعلك الآن
مسرورة !

- أنجوستياس : نعم . . بطبيعة الحال .
- أميليا : [مخاطبة ماجدالينا] - ها أنت قد سكبت
الملح !
- ماجدالينا : لا أظن أن حظك سيكون أسوأ مما
هو الآن !
- أميليا : إن انسكاب الملح ينذر دائماً بوقوع
حادث سيء .
- برناردا : دعن هذا الحديث !
- برودنثيا : [لأنجوستياس] - هل أهداك خاتم الزواج ؟
- أنجوستياس : [تعد يدعا به إلى برودنثيا] - ها هو ذا . .
انظري إليه .
- برودنثيا : ما أجمله ! . . ففس من ثلاث لآلى . . .
لقد كانت اللآلى على أياى تعنى
الدروع !
- أنجوستياس : واكن الأيام تغيرت الآن ياخاله .
- أديلا : أنا أظن أنه لم يتغير شيء . بل هى تدل
على ما كانت تدل عليه دائماً . ولهذا فإن

خواتم الزواج ينبغي أن تكون من
فصوص الياقوت .

برودثيا : كان هذا أوفق !
برناردا : يواقيت أو لآي . . الكل سواء ، وإنما
معاني الأشياء بقدر ما تكون النية في
تقديمها .

مارتيريو : أو كما قدر الله لها أن تكون ! . .
برودثيا : حدثوني أن جهاز البيت في غاية الروعة .
برناردا : لقد كلفني إعداده ستة عشر ألف ريال .
لابونيا : [متدخلة في الحديث] - وأجمل ما فيه
الدولاب ذو المرأة .

برودثيا : لم أرفى حياتي دولابا من هذا النوع ..
برناردا : كان الشائع في أيامنا صندوق الثياب .
برودثيا : المهم هو أن يتمم الله كل شيء بالتوفيق .
أديلا : هذا أمر لا يمكن أن يتنبأ به أحد .
برناردا : ليس هناك ما يدعو إلى مثل تلك الظنون .

[يسمع صوت أجراس من بعيد] ..

برودنيا : هذه هي الدقات الأخيرة .. [إذ أنجوستياس]

سأذهب الآن ، ولكنني سأعود لكي

تربني ثياب العرس .

أنجوستياس : حينما تربدين يا خالة ..

برودنيا : أطاب الله مساء كن جميعا ..

برناردا : في حفظ الله يا برودنيا .

الفتيات الخمس : [في صوت واحد] - بسلامة الله ! ..

[لحظة صمت - تخرج برودنيا]

برناردا : قد فرغنا من الطعام [تنهس] .

أديلا : سأذهب حتى البوابة لكي أسرح رجليّ

وأتنعم قليلا من الهواء البارد .

[ماجدالينا تجلس على كرسي منخفض مستند إلى

الحائط]

أميليا : انتظري قليلا ، فسأتي معك ..

مارتيريو : وأنا أيضا .

أديلا : [نحتد مكبوت] - إنني أعرف طريق

جيذا ولا أحتاج لرفقتكما .

أميليا : الرفقة في ظلام الليل خير من الوحدة

[تخرج اثلاث]

[برناردا تظل حالة بينما تعمل أنجوستياس في

تنظيف المائدة]

برناردا : لقد قلت لك إنى أريد أن تتحدثى مع

أختك مارتيريو بصدد الصورة . إن

ما حدث لم يكن إلا دعابة ينبغي أن

تسبها .

أنجوستياس : أنت تعرفين أنها لا تخبنى .

برناردا : كل منا حرٌّ في أن يفكر في باطنه فيما

يشاء ، وأنا لا أحاول أن أستجلى أغوار

مشاعركن ، وكل ما يهمنى هو أن يكون

لنا ظاهر طيب وتفاهم عائلى تام .

أنفهمين ؟

أنجوستياس : نعم .

برناردا : إذن انتهينا .

ماجدالينا : [وهي تغالب النوم] - ثم إنك ستغادرين

هذا المنزل قبل جميعنا . [تستأق على مقعدها

وتام]

أنجوستياس : ومع ذلك فإنه يبدو لي أنى تأخرت كثيراً
فى مغادرته .

برناردا : فى أى ساعة انتهت ليلة أمس من الحديث
مع بيبي ؟

أنجوستياس : فى الثانية عشرة والنصف .

برناردا : وماذا قال لك ؟

أنجوستياس : إنى أراه فى هذه الأيام ساهما كثير
الشروء ، وهو يتحدث إلى كما لو كان
يفكر فى شىء آخر ، فإذا سألته عما به
أجابنى بأن الرجال لديهم الكثير من
الحموم والمشاكل الخاصة .

برناردا : ما كان عليك أن تسأله ، وإذا تزوجت

فأقل من سؤاله ، ولا تكلميه إلا إذا
بدأك هو بالكلام ، وإذا نظر إليك
فانظرى إليه ، وبهذا يمكن أن تتجنبنى

كثيراً من المضايقات . .

أنجوستياس : إني أعتقد يا أمي أنه يخفى عني أشياء كثيرة .

برناردا : لا نحاول اكتشافها ، ولا تسأليه ، واحرصي على ألا يراك باكية أبداً .

أنجوستياس : أماه .. لقد كان من الجدير بي أن أكون متهمة مسرورة ، غير أنني أحس بأني مقبوضة الصار .

برناردا : سواء أن تكوني مسرورة أو حزينة ..

أنجوستياس : إني كثيراً ما أنظر إلى « بيبي » في إمعان ، فأرى كأن صورته قد اءحت من بين قضبان النافذة ، كما لو حجبتة عني سحابة من التراب الذي تثيره قطعان الماشية أثناء سيرها ..

برناردا : هذه التصورات ليست إلا وليدة الضعف .

أنجوستياس : ليتها كانت كذلك !

- يرناردا : أهو قادم الليلة ؟
- أنجوستياس : لا .. إنه ذهب مع أمه إلى العاصمة .
- يرناردا : إذن فسوف ننام اليوم في ساعة مبكرة .
- [منادية] ماجدالينا !
- أنجوستياس : لقد نامت . [تدخل أديلا ومارتيريو وأميليا]
- أميليا : ما أشد الظلام هذه الليلة !
- أديلا : لا يكاد المرء يرى على بعد خطوتين .
- مارتيريو : ما أصلحها ليلة للصوص ، فإنهم لن يعدموا فيها ملاذاً ومختبأ .
- أديلا : لقد كان حصان التناج في وسط الحظيرة . أبيض ناصع البياض ! وكان يبدو في ضعف حجمه مائلاً كل الفراغ المظلم .
- أميليا : حقا .. لقد كان يثير الذعر في النفوس ، وكأنه شبح من الأشباح !
- أديلا : والنجوم تلمع في السماء .. كبيرة كأنها قبضات أيد .
- مارتيريو : لقد أقبلت هذه على النظر إلى النجوم

حتى كان عنقها ينخلع .

أديلا : ألا يعجبك أنت النظر إلى النجوم ؟

مارتيريو : أنا لا أهتمى شئ من أمر كل ما يعلو

سقوف الغرف . إذ يكفينى ما يجرى

ما بين جدرانها .

أديلا : نعم ، هذا هو ماتصلحين له .

يرناردا : نعم ، هى لما تصلح له ، وأنت لما

يصلح لك ..

أنجوستياس : مساء الخير .

أديلا : أذهبة أنت إلى الفراش الآن ؟

أنجوستياس : نعم ، فإن « بيبى » لن يبيء الليلة .

[تخرج]

أديلا : أى .. لماذا جرى الناس حينما تسيل نجمة

فى السماء أو يومض البرق على أن

يقولوا :

يا باربارة القديسة .. أيتها المباركة

ها هو ذا اسمك مكتوب فى السماء

بالماء المقدس على صفحة القضاء .

برناردا : إن الناس في القديم كانوا يعرفون أشياء

كثيرة لم نعد اليوم نذكرها .

أميليا : أما أنا فأبني أعفص عيني حتى لا أراها .

أديلا : وأما أنا فيطيب لي أن أرى هذه الأجرام

تهوى ، وهي مشتعلة ناراً بعد أن ظلت

ساكنة سنوات وسنوات .

مارتيريو : ولكن هذه الأشياء لا صلة بيننا وبينها .

برناردا : ومن الأفضل ترك التفكير فيها .

أديلا : يا لها من ليلة رائعة الجمال ! لكم يعجبني

أن أظل حتى وقت متأخر لأتمتع بنسيم

الحقول ...

برناردا : ولكن عليك الآن أن تأوين إلى الفراش .

[تنادى بصوت عال] ماجدالينا !

أميليا : إنها في الإغفاءة الأولى .

برناردا : ماجدالينا ؛

ماجدالينا : [تتحرك في مقعدها وتندم في امتعاض] - اتركيني

وشأني !

- برناردا : اذهبي إلى فراشك !
- ماجدالينا : [تقوم في تناقل وقد بدا عليها الضيق] -
 ألا تدعيني أستريح في هدوء ؟ !
 [تذهب وهي متمتعة بكلمات غير مفهومة]
- أميليا : مساء الخير [تذهب]
- برناردا : اذهبا أنتما أيضا هـ
- مارتيريو : لماذا لن يأتي خطيب أنجوستياس الليلة ؟
- برناردا : إنه على سفر .
- مارتيريو : [ناظرة إلى أديليا في ريبة] - آه ! ..
- أديلا : إلى الغد .. [تخرج] .
- [مارتيريو تشرب قدحاً من الماء ثم تخرج في تناقل
 وهي ناظرة إلى الباب الذي يؤدي إلى الحظيرة ..]
- لابونثيا : [تدخل إلى المسرح] - ألا تزالين هنا ؟
- برناردا : نعم هـ متمتعة بصفاء هذا الصمت
 العميق ، دون أن أرى في أي مكان
 هذا « الشيء الهائل » الذي تقولين إنه
 يحدث هنا على ما تقولين .

- لابونثيا : من الخير أن ندع هذا الحديث يا برناردا .
- برناردا : إذن فاعلمي أنه ليس في هذا البيت «نعم» أو «لا» ، وأن حراستي اليقظة لا تدع مجالاً لأن ينطق أحد بكلمة .
- لابونثيا : نعم . لا يحدث شيء وفي هذا البيت .. هكذا يبدو الأمر من ظاهر ، معك حق .. وبناتك يعشن فيه في الحفظ والعون كما لو كنت تحفظينهن في خزانه . ولكن .. لا أنت ولا غيرك تستطيع أن تحرس القلوب التي في الصدور ..
- برناردا : إن بناتي يتنفسن تنفساً طبعياً ..
- لابونثيا : هذا أمر لا يهم غيرك ، إذ أنت أمهن ؛ وأما أنا فلي في خدمة بيتك ما يكفي .
- برناردا : أراك الآن تفضلين الصمت والسكوت ..
- لابونثيا : إنما أنا في المكان الذي جُعِلْتُ له ، والسلام ! ..

برناردا : بل الحقيقة هي أنك لا تجددين ما تقولين ..
ولو كان في هذا البيت مرعى هين سهل
لسارعت أنت لتكفلي باستحضار ماشية
الجيران حتى تأتي عليه طعمة سائغة !

لابونثيا : إني أسد من ثغرات هذا البيت أكثر
مما تتصورين ..

برناردا : أما زال ابنك يرى « بيبي » في الرابعة
بعد الفجر ؟ أما زال يصب لعناته على
هذا البيت ؟

لابونثيا : لم أسمع أحداً يتحدث بشيء ..

برناردا : بل لأنه لم يستطع أحد أن يقول شيئاً ..
لأنه لم يعد هناك من لحم يعملون فيه
أسنانهم .. وإنما الفضل في ذلك يعود
إلى حراستي وعينيَّ المفتحتين ! ..

لابونثيا : برناردا .. لست أريد الكلام لأنني أخشى
سوء تأويلك .. ولكني أكتفي بأن
أنصحك بشيء : لا تثق في نفسك ..

- برناردا : بل أنا واثقة كل الثقة .
- لابونثيا : ومن يدري ؟ .. فربما انقضت الصاعقة فجأة .. ومن يعلم الغيب فربما أصابتك ضربة يقف لما قلبك !
- برناردا : هنا لا يحدث شيء .. وأنا يقظة لكل ما تزعمين أنه قد يقع ..
- لابونثيا : هذا خير لك وأفضل ..
- برناردا : ما كنت في حاجة إلى أن تنبئني إلى ذلك ! ..
- الخادمة : [وهي داخلة] - قد انتهيت من غسل الأطباق . أتأمرين بشيء آخر يا برناردا ؟
- برناردا : [نافضة] - لا .. سأذهب لأستريح .
- لابونثيا : في أي ساعة تريدن أن أوقفك ؟
- برناردا : لست في حاجة إلى ذلك ، فسأنام اليوم على ما أشتئى [تخرج]
- لابونثيا : حينما يعجز المرء عن مغالبة أمواج البحر فإن أيسر ما يستطيع . هو أن يدير ظهره

إليها حتى يتجنب رؤيتها ! ..

الخدامة : إنها من الكبر والغرور بحيث تؤثر أن
تعصب عينها بغشاوة .

لابونثيا : أما أنا فلا أستطيع أن أفعل شيئا .. لقد
أردت أن أنجب وقوع الكارثة ، ولكن
لم يعد باليد حيلة : فالأحداث تتعاقب
بسرعة رهيبة مفرعة .. أتزين الصمت
المخيم على هذا الدار؟ إنه ليس إلا ظاهراً
تختم في باطنه عاصفة هوجاء في كل
غرفة .. فإذا ثارت هذه العواصف فإنه
لن يسلم من شرها أحد منا جميعا ، ولقد
أعذرت إذا أنذرت وقلت ما كان على
أن أقول !

الخدامة : إن برناردا تعتقد أنه ليس في وسع أحد
أن يعترض طريقها ، وهي لا تقدر مدى
مالرجل واحد من قوة بين نساء
وحيدات ..

لابونثيا : الحقيقة أن الذنب ليس ذنب « بيبي
إل رومانو » وحده ، صحيح أنه كان
يطارد أدبلا في العام الماضي وأنها تعلق
به إلى حد الجنون ، ولكن كان ينبغي
عليها أن تلزم حدودها وألا تستفزه ،
فالرجل رجل على أية حال .

الخادمة : هناك من يعتقد أنه التقى بها وتحدث
إليها مرات كثيرة .

لابونثيا : نعم . هذا صحيح [ثم مضيئة في صوت خفيض]
وأشياء أخرى أكثر خطورة ! ..

الخادمة : لست أعرف ما الذي سيجري هنا .

لابونثيا : ما أرغبني في أن أعبّر البحر ، وأترك هذه
الدار . . . دار الحرب !

الخادمة : ولكن برناردا تتعجل تدابير الزواج ،
وربما حال ذلك دون حدوث أى شيء .

لابونثيا : لقد وصلت الأمور إلى حد بالغ من
النضوج ، وأدبلا لن تتردد في القيام بأى

شيء ، وأما الأخباريات فإنهن يرقبن
دون كلال . . .

الخادمة : ومارتيريو أيضا ؟
لابونثيا : هذه حى شرهن جميعاً ، إنها بئر من
السموم ، وهى منذ أن رأت أن « إل
رومانو » ليس من نصيبها فإنها مستعدة
لإغراق العالم كله لو كان ذلك فى يدها .

الخادمة : يا لمن من نساء خبيثات !
لابونثيا : لا . . . هن نساء بلا رجل . . لا أكثر
من ذلك ، وفى مثل هذه الأحوال ليس
من الغريب أن ينسين كل شيء . . .
حتى حرمة الدم [تمد أذنيها فى سمع]
هس ! . .

الخادمة : ما هناك ؟
لابونثيا : [ناهضة] - ألا تسمعين نباح الكلاب ؟
الخادمة : يبدو أن أحداً يقترب من البوابة . .
[تظهر أديلا فى قميص أبيض] .

لابونثيا : ألم تأوى إلى فراشك ؟

- أديلا : سأشرب قديحا من الماء [تتقدم إلى المائدة
وتشرب : حاً من الماء] .
- لابونثيا : كنت أظنك نائمة .
- أديلا : لقد أيقظني العطش ، وأنتما . . ألا تذهبان
للنوم ؟
- الخادمة : نعم . . الآن . [تخرج أديلا] .
- لابونثيا : هيا بنا .
- الخادمة : إننا نستحق قسطاً من النوم ، فإن برناردا
لا تدعنى أخلد إلى الراحة طول اليوم .
- لابونثيا : خذى معك المصباح .
- الخادمة : الكلاب تنبح كما لو انتابها الجنون .
- لابونثيا : لست أظنها تركنا ننام [تخرجان] .
- [يبقى المرحح لحظات خالياً يسوده اللام ،
ثم تظهر ماريا خوسيفا وبين ذراعيها شاة صغيرة] .
- ماريا خوسيفا : أى شاقى الصغيرة ، بل طفلى الحبيب !
هيا بنا إلى ساحل البحر
حيث الملة جالسة على باب وكرها . .
هلمسى إلى أعطك الخبز واللبن . .

• • •

برناردا ،

يا وجه الفهدة ..

ماجدالينا ،

يا وجه الضبعة ..

وأنت أى شأى الصغيرة ..

•••••

تعالى معى إلى سعف النخيل

على باب « بيت لحم » .

• • •

لا أنت ولا أنا نريد النوم

تعالى ، فالباب سينفتح لنا من تلقاء

نفسه

وهناك .. على شاطئ البحر ..

سنأوى إلى كوخ من المرجان

• • •

برناردا ،

يا وجه الفهدة ..

ماجدالينا ،

يا وجه الضبيعة ..

وأنت أى شأى الصغيرة ..

مى .. مى .. مى .. مى ..

تعالى معى إلى سعف النخيل

على باب « بيت لحم » [تذهب مترنمة بهذه

الأغنية]

[تدخل أديلا فتتظر حوالها فى حذر ثم تخرج من

الباب المؤدى إلى الحظيرة . تظهر مارتيريو من باب

آخر وتقف فى وسط المسرح متطلعة حوالها فى

ترقب وتربص ، وهى كلاك بقميص ، وقد ألقت

على كتفها شالا أسود ، تعود إلى الظهور أمامها

ماريا خوسيفا]

مارتيريو : جدى .. إلى أين تذهبين ؟

ماريا خوسيفا : افتحى لى الباب .. ولكن من أنت ؟

مارتيريو : كيف أنيت إلى هنا ؟

ماريا خوسيفا : لقد هربت من غرفتى .. من أنت ؟

مارتيريو : عودى إلى فراشك يا جدتى .

ماريا خوسيفا : أنت مارتيريو . . هاأنذا أراكِ . [متغنية]

مارتيريو : يا وجه البلاء والآلام ! متى سيكون لك

ابن ؟ لقد أنجبت أنا هذا [تشير إلى الشاة بين

ذراعها]

مارتيريو : من أين أتيت بهذه الشاة ؟

ماريا خوسيفا : نعم ، إنى أعرف أنها شاة ، ولكن لماذا

لا تكون الشاة طفلاً ؟ من الخير أن تكون

لك شاة على ألا يكون لديك شيء أبدا

[تعود إلى الترنم ! برناردا ، يا وجه

القهدة ! ماجدالينا ، يا وجه الضبعة !

مارتيريو : لا ترفعى صوتك ..

ماريا خوسيفا : نعم .. هذا حق ، الظلام يضرب أظنابه

فى كل مكان .. وأنت تظنين أننى

لا أستطيع أن أنجب أولاداً لأن شعرى قد

ابيضت .. فاعلمى أنى سيكون لى أبناء

وأبناء وأبناء ، وهذا الطفل الذين ترين

أبيض الشعر ، وسيكون له طفل ،
وسينجب هذا آخر .. وكلهم سيكون
لحم شعر بلون الجليد .. ستكون مثل
أمواج البحر : موجة بعد موجة ..
وسنجلس جميعا وقد ابيضت شعورنا
فنتحيل إلى زبد ، كذلك الذى يعلو قمم
الأمواج .. لماذا لا يوجد زبد فى هذا
البيت ؟ إنى لا أرى هنا إلا ثياباً سوداً
بلون الحداد ..

مارتيريو : اسكتى ... اسكتى ..

ماريا خوسيفا : حينما كان يولد لجاتى ولد كنت أزورها
حاملة لطفلها الحلوى ، وهكذا كانت
تفعل هى حينما آتى أنا بولد .. هكذا ،
دائماً ، دائماً ، دائماً . أما أنت فسيبيض
شعرك ولكن لن تأتى الجارات لزيارتك .
على الآن أن أذهب : ولكنى أخشى أن
تعضى الكلاب . أترافقينى حتى أخرج

إلى الحقل ؟ .. فأنا أحب الحقل ،
وأحب البيوت .. ولكنى أعنى البيوت
المتوححة حيث ينام النساء على أسرتهن
وقى أحضانهم أطفالهن الصغار ، بينما
يجلس أزواجهن ، على عتبات البيوت ..
إن « بيبي إله رومانو » عملاق هائل ،
وأنتن جميعا مفرمات به ، ولكنه سيلاهمكن
واحدة واحدة . لأنكن لستن إلهيات
من القمح .. لا . لستن حبات من القمح
بل ضفادع بلا ألسنة ! ..

مارتيريو : هيا .. اذهبي إلى الفراش ! [تدفها إلى
الخارج]

ماريا خوسيفا : نعم ، سأذهب ، ولكنك ستفتحين لى
الباب بعدُ ، أليس كذلك ؟

مارتيريو : نعم .. كونى متأكدة من هذا .

ماريا خوسيفا : [تذهب باكية وهى تترنم] -

أى شانى الصغيرة ، بل طفلى الحبيب

هيا بنا إلى ساحل البحر
حيث البذلة جالسة على باب وكرها
هلمسى إلى أعطك الخبز واللبن ..

[مارتيريو تفتل الباب الذى خرجت منه
ماريا خوسيفا ، ثم توجه إلى باب الخظيرة ،
وهناك تردد « قليلا ثم تغطو خطوتين إلى الأمام]
: [فى صوت منخفض] — أديلا ! [لحظة
صمت ، ثم تتقدم إلى الباب وتنادى بصوت مرتفع]
أديلا ! [تظاهر أديلا وهى مشعثة الشعر]

أديلا : ماذا تريدين منى ؟

مارتيريو : اتركى هذا الرجل !

أديلا : ومن أنت حتى تقولى لى ذلك ؟

مارتيريو : ليس هذا هو المكان الذى يليق بامرأة
شريفة .

أديلا : ما كان أشد رغبتك فى أن تحتليه أنت

عوضا عنى !

مارتيريو : [ترفع صوتها] — لقد آن الوقت لكى

أتكلم ، فما كان لهذا الذى تفعلين أن
يستمر هكذا .

أديلا : إن ما أفعل ليس إلا البداية فقط . لقد
كان لى فضل سبق . . . فضل القوة
والجرأة الذى لم يقدر لك منه نصيب . .
لقد رأيت الموت تحت سقف هذا
البيت ، ولكنى خرجت باحثة عما هو
من حتى . . . عما يجب أن يكون لى !

مارتيريو : هذا الرجل المتقلب إنما أتى من أجل
امرأة أخرى ، فتعرضت له أنت وقطعت
عليه الطريق .

أديلا : لقد أتى من أجل مالها ، ولكنه لم يثبت
عينه إلا فى أنا .

مارتيريو : لن أسمح لك بانتزاعه ، وسيكون زواجه
من أنجوستياس .

أديلا : أنت تعلمين خيراً منى أنه لا يجها .

مارتيريو : نعم . أعلم ذلك .

أديلا : تعلمينه لأنك رأيتيه بعينك . . . رأيت
مدى حبه لى أنا .

مارتيريو : [فى غيظ وغيره] - نعم .

أديلا : [مقتربة منها] - هو يحبنى . . .
يحبنى أنا

مارتيريو : [صاغفة وهى لا تملك نفسها] - أرجوك .
أغمدى فى صدرى خنجرأ إذا شئت
ولكن لا تكررى على ذلك !

أديلا : من أجل هذا تخولين إبعادى عنه .
فإنه لا يهملك أن يعانق امرأة لا يحبها ،
ولا يهمنى أنا ذلك أيضاً . أما أن يعبش
مائة سنة مع أجوستياس فهو أمر لا يلقى
ملك مبالاة ولا اهتماما ، وأما أن يعانقنى
أنا فهو ما يبدو لك هائلا فظيماً ،
وما ذلك إلا لأنك أيضاً تحبينه . . .
نعم ، أنت تحبينه . . .

مارتيريو : [تصيح فى انفعال] - نعم . . . دعينى أقتل

لك ذلك في غير مواربة .. دعيني
أصرح به وإن انشق صدري كما تنشق
رمانة من الحنظل .. إنني أحبه ! ..

أديلا : [تماضها باكية] - مارتيريو .. إن الذنب
ليس ذنبي ! ..

مارتيريو : [تبعدها عنى فى عنف] - لا تعانقيني ..
ولا تحاولى إلانة قلبى عليك .. إن دمي
لم يعد هو الدم الذى يجرى فى عروقك ..
وقد كنت أود أن أنظر إليك باعتبارك
أختا ، ولكنى لم أعد أرى فىك إلا مجرد
امرأة ! ..

أديلا : وأنا أقول إنه لم يعد هناك مجال لتدارك
ما وقع ، والذى لم يبق أمامها إلا أن
تغرق فلتغرق نفسها .. أما « بيبي إيل
رومانو » فإنه لى .. لى أنا ، وله أن
يفعل بي ما يشاء !

مارتيريو : كلا ! هذا لن يكون !

أديلا : لم أعد أستطيع تحمل بشاعة هذه السنوف :
بعد أن ذقت طعم فمه : إننى ملك له ،
وسأكون ما يريد هو لى أن أكون ،
حتى ولو اجتمع على كل أهل هذا
البلد . . حتى ولو أحرقونى مشيرين إلى
بأنامل من وهج اللهب . . حتى ولو
طاردنى هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعفة
شرفاء . . ولأضعن على رأسى إكليلا
من الشوك كما يفعل الناس بأولئك النساء
اللاتى يعشقن رجلا متزوجا . .

مارتيريو : اسكتى بحق الله !

أديلا : نعم ! نعم ! [فى صوت خفيض] هيا بنا
إلى الفراش ، ولنتركه يتزوج من
أنجوستياس إذا شاء ، فهو أمر لا يهمنى
ولا أحفل به ، وأما أنا فساذهب لأعيش
وحيدة فى بيت صغير يستطيع هو فيه
أن يرانى حينما يشاء ، وكلما أراد . .

مارتيريو : إن ذلك لن يحدث طالما جرت في
جسدى قطرة دم .

أديلا : أما أنت فإنك أضعف من أن أدل عليك
بقوتى ، ولكنى أقول لك إن لدى من
القدرة ما أستطيع به أن أذل جواداً
جوحاً حتى يركع على ركبته أمامى
بإشارة من إصبعى !

مارتيريو : لا ترفعى صوتك هذا الذى يثير من
ثائرة غضبى . إن فى قابى الآن تياراً
جارفاً من الخلد أكاد أنا نفسى أختنق
به دون أن أشعر !

أديلا : لقد علمونا أن نكون أخوات وعلى أن
يكون بيننا من الحب ما يكون بين
الإخوة ، ولكن يبدو أن الله تركنى
وحيدة فى وسط هذا الظلام ، فإننى
أنظر إليك الآن كما لو كنت أراك
لأول مرة .

[يسمع صوت صمير ، أدبلا تجرى إلى باب
الخطيرة فتعرض مارتيريو طريقها] .

مارتيريو : إلى أين ؟

أدبلا : ابتعدى عن هذا الباب .

مارتيريو : مرى إذا استطعت .

أدبلا : ابتعدى [يشتكاه فى صراع عنيف]

مارتيريو : [صائحة] — أماه ! .. أماه !

[تظهر برناردا فى قميص وود ألفت على كتفها
شالا أسود]

برناردا : رفقاً .. رفقاً .. ! يا لخطي المنكود ..

إذ لم يجعل الله بين أصابع يديّ نيرانا
وصواعق !

مارتيريو : [مشيرة لـ أدبلا] — لقد كانت معه !

انظرى إلى قميصها وقد امتلأ بتبن
الخطيرة !

برناردا : إنما هذا سرير الفاجرات ! .. [تنقدم

نحوها وقد أمسكت في يدها عصا شليظة في
سورة العنكب [

أديلا : [تواجهها] - لقد آن أن تصمت في هذا
البيت صرخات السجنين والسجناء !
[تنزع العصا من يدها وتكرها إلى نصفين]
وهذا هو ما أفعله بعضا الطاغية ..
واحرصى على ألا تتقدمى خطوة
واحدة . لم يعد لأحد من سلطان على
إلا . « بيبي » .

ماجدالينا : [خارجة] - أديلا !

[تخرج لاهوتيا وأنجوستياس]

أديلا . أنا وحدى امرأته [متجهة إلى أنجوستياس]
فاعلمى ذلك واذهبى إلى الحظيرة فاسأليه
إذا شئت . إنه سيحكم هذا البيت ،
وها هو ذا هناك يتنفس كأنه أسد !

أنجوستياس : يا إلهى !

برناردا : البندقية .. أين البندقية ؟ [تخرج بهرولة]

[تخرج مارتيريو ، ثم تظهر أميليا في طرف المسرح
كوهى تنظر في فزع إلى ما يحدث وقد أسدت رأسها
إلى الحائط]

أديلا : لن يجروء أحد على اعتراض طريقى ! ..
[تم بالخروج]

أنجوستياس : [تثبت بها] - لن تخرجى منها بجلدك
ظافرة .. يا لصة .. يا سبة هذا المنزل !

ماجدالينا : دعها تخرج إلى حيث لا نعود لرؤيتها أبداً .
[يسمع في الخارج صوت طلقة نارية]

برناردا : [داخلة] - اذهبي لتلحقي به الآن إذا
شئت .

مارتيريو : [داخلة] - قد انتهى « بينى إل رومانو » .

أديلا : [صارخة] - بينى ! .. يا لى ! بينى !
[تخرج مسرعة]

لابوثيا : ولكن .. أقتلموه ؟

مارتيريو : لا .. لقد هرب مسرعاً على بغلته .

برناردا : ليس لي ذنب في ذلك ، فالنساء لا يسدون الإصا بة .

ماجدالينا : [متوجه إل مارتيريو] - لماذا قلت ذلك إذن ؟

مارتيريو : من أجلها هي . . فقد سقط عليها النبأ كما لو كان قد تفجر على رأسها نهر من الدم .

لابوثيا : ألا لعنك الله . .

ماجدالينا : يالك من شيطانة خبيثة !

برناردا : ربما كان هذا أفضل [يسمع صوت كأنه ارتطم جسم]

أديلا : أديلا !

لابوثيا : [على باب الخبيرة] افتحي .

برناردا : افتحي ، ولا تخالي أن هذه الجدران ستسّر عارك !

الخادمة : [تدخل] - لقد استيقظ جميع الجيران !

برناردا : [في صوت منخفض متحرج كأنه الزئير]

افتحى ! وإلا فإني سوف أحطم الباب
[لحظة سمعت تسود المكان كله] أديلا !
[تتراجع عن الباب] . إلى بمطرقة !
[تدفع لابونثيا الباب بجسمها دفعة قوية وتدخل ،
تسمع منها صرخة عالية ثم تعود إلى الخروج
مرعة] ماذا حدث ؟

لابونثيا : [ترفع يديها إلى رقبتيها] - اللهم لا تقدر
علينا مثل هذا المصير !

[تفتيات يتراجعن في هلع ، الخادمة ترسم
علامة الصليب ، برناردا تطلق صرخة ثم تتقدم
نحو الباب] .

لابونثيا : لا . . . لا تدخلى !

برناردا : لا . . . أنا لا . وأما أنت يا بيبى فإنك
مضيت حيا ، ولكنك ستظل تجرى في
ظلام غابات الحور ملتصقا بطرق الحرب ،
غير أنك ستقع آجلا أو عاجلا . . .
وأما ابنتى فأنزلوها : : : إنها مائت

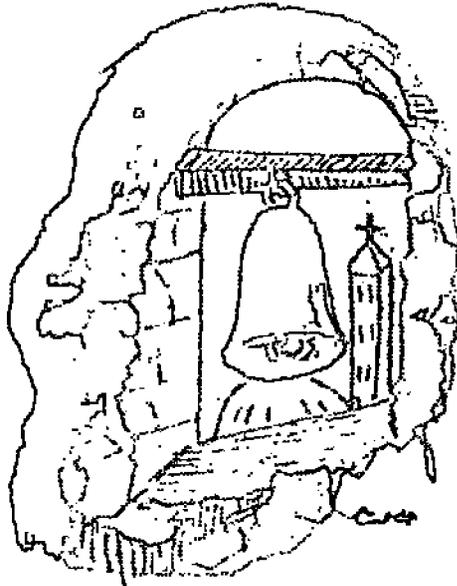
عذراء . . . احلواها إلى غرفتها
وألبسوها ثياب العذارى . . . ولا يقولن
أحد منكم شيئاً . . ابنتي ماتت عذراء ،
وأبلغوا النبأ حتى تدق أجراس الكنيسة
في الفجر معلنة أن فتاة بكرأ قد اختارها
الله إلى جواره . . .

مارتيريو : لقد أسعدها الله ألف مرة إذ قدر لها
هذه النهاية !

برناردا : ولست أريد صراخاً ولا بكاء . فإن
الموت قدّر ينبغي أن ننظر إليه
وجهاً لوجه . [متوجهة لإحدى بناتها]
سكوتا ! . . [متوجهة لبنت أخرى]
اسكني قلت لك ! وإذا أردتن سكب
الدموع فافعلن حينما تغلّون إلى أنفسكن ،
فحينئذ لتفرق في بحر من الحساد
الأسود . . . إنها هي . . . ابنة برناردا

ألبا الصعري . . . قد ماتت عذراء . .
عذراء . . . عذراء ! أسمعتن ؟ والآن . . .
لتسكنن جميعاً . . . لا أريد أن أسمع
صوتاً لواحدة منكن . . .

[ستار]



القاهرة
طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٢